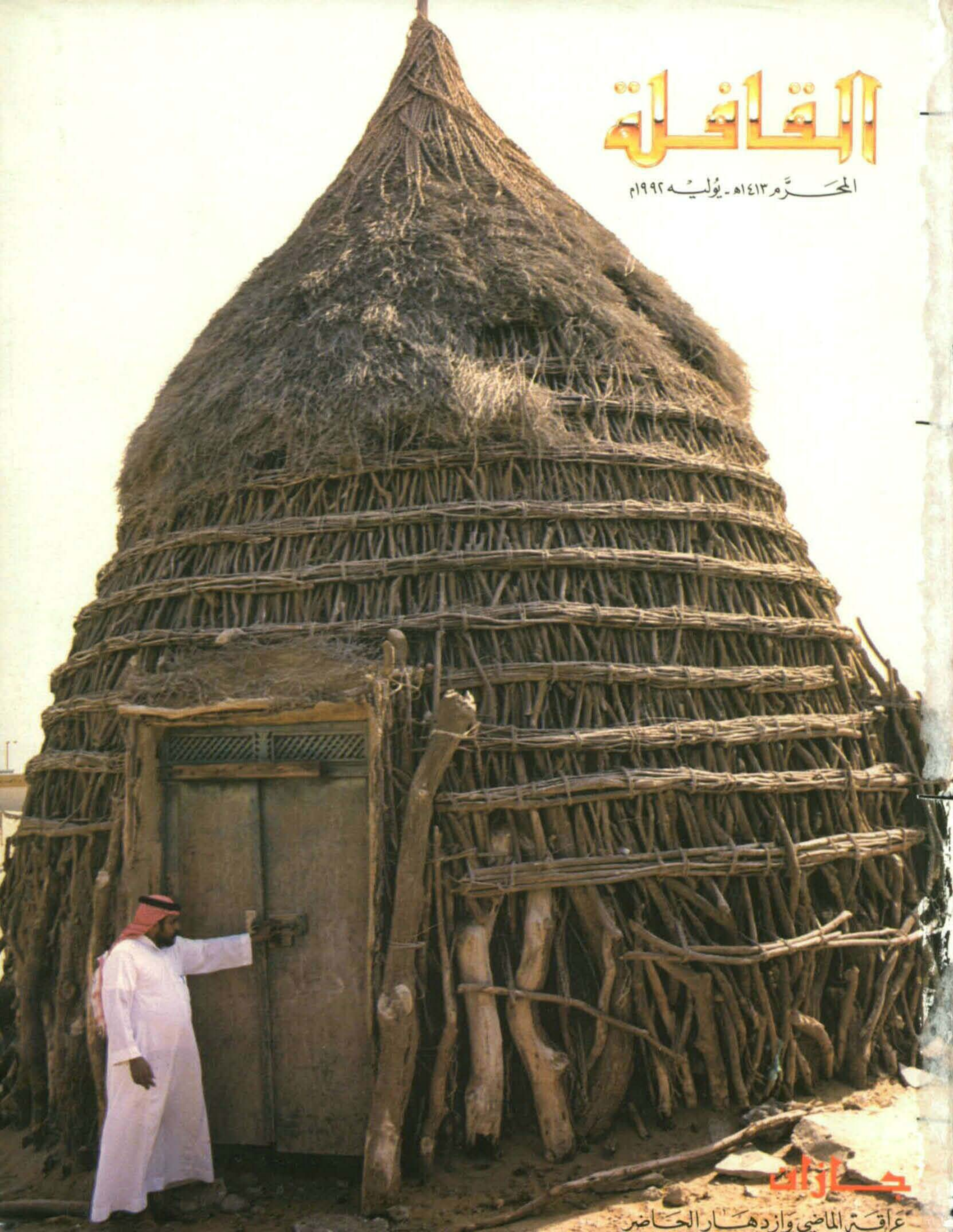

القافلة
المحرم ١٤١٣هـ - يوليه ١٩٩٢م
جازان
عراقة الماضي وازدهار الحاضر

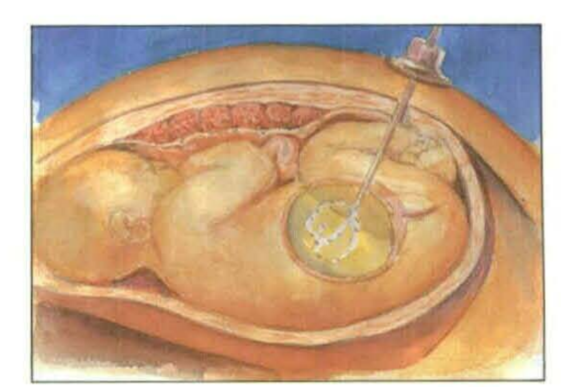
بسم الله الرحمن الرحيم

القافلة

المحرم ١٤١٣هـ - يوليه ١٩٩٢م
THE CARAVAN - JULY 1992

العدد الأول - المجلد الواحد والأربعون
توزع مجاناً

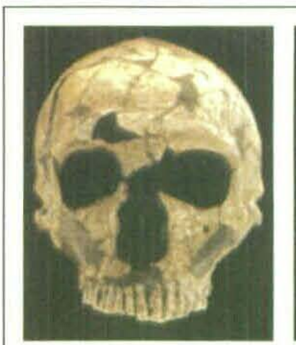
مجلة ثقافية تصدر شهرياً عن شركة أرامكو السعودية لموظفيها - إدارة العلاقات العامة



طب الأجنة



شجرة البان





الكيمياء

المدير العام: فيصل محمد البسام

المدير المسؤول: إسماعيل إبراهيم نواب

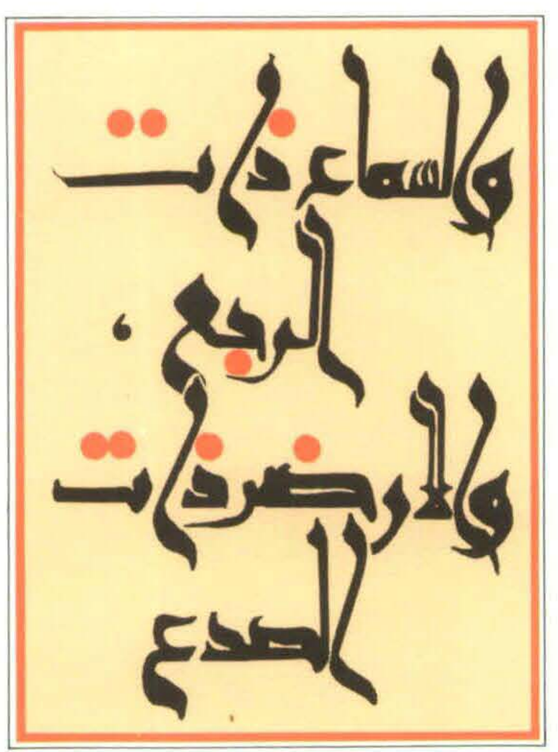
رئيس التحرير: عبد الله خالد الخالد

العنوان
صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران ٣١٣١١
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٨٧٥٦٣٩٢ - ٨٧٤٠٧٠٦ - فاكس ٨٧٣٨٤٩٠

صممت وطبعت بمطابع الوفاء بالدمام

من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

بقلم: د. زغلول راغب محمد النجار - الظهران
جامعة الملك فهد للبترول والمعادن



﴿ والسماء ذات الرجع ، والأرض ذات الصدع ﴾
(الطارق / ١١ـ١٢)

في مقال سابق ذكرنا أن هاتين الآيتين الكريمتين من صور القسم في القرآن الكريم ، يُقسِم فيهما ربنا تبارك وتعالى ، وهو الغني عن القسم ، بالسماء ذات الرجع وبالأرض ذات الصدع .

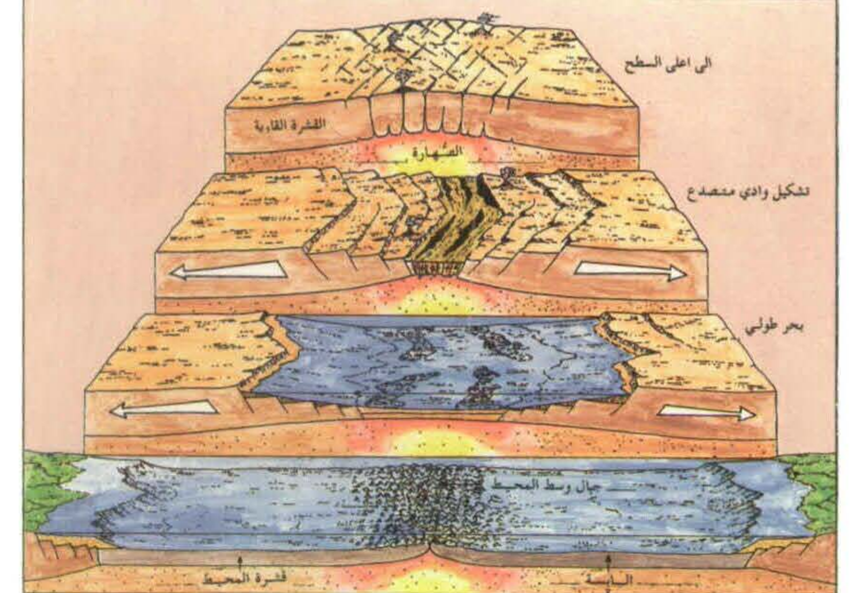
وقد فصلنا في المقال السابق جوانب من الاعجاز العلمي في وصف السماء بأنها ذات رجع ، ونوجز هنا شيئاً من ذلك فيما يخص القسم بالأرض ذات الصدع ، وقبل أن نخوض في ذلك أود أن أؤكد على أن لفظة « الأرض » قد وردت في القرآن الكريم بمدلولين محددين : أولهما الكوكب الأرضي بمجمله ، وثانيهما الجزء اليابس الذي نحيا عليه ، ومن الواضح أن المدلول الأخير هو المقصود في الآية الكريمة : **﴿ والأرض ذات الصدع ﴾** .

وقد فهم الأولون من هذا الوصف القرآني للأرض بأنها « ذات صدع » معنى انصداعها (أي انشقاقها) عن النبات ، وهو فهم صحيح ، فقد قال ابن عباس (رضي الله تبارك وتعالى عنهما) في تفسير **﴿ والأرض ذات الصدع ﴾** : هو انصداعها عن النبات ، بمعنى أن الله تعالى يُقسم بالأرض التي من صفاتها أنها تنصدع وتنشق فيخرج منها مختلف صور النبات ، وما تحمله تلك النباتات من خيرات وثمار لولاها لم تستقم الحياة على الأرض .

وهذا المعنى الوارد في مختلف كتب التفسير صحيح ، ولكن من صفات كلام الله أنه معجز ، ومن صور اعجازه التي لا نكاد نحصيها أنه مهيمن على معارف البشر مهما اتسعت دوائرها . فقد اكتشف علماء الأرض منذ أواخر الستينات من هذا القرن أن الغلاف الصخري للأرض ممزق بشبكة هائلة من الصدوع الطولية والعرضية تقسمه الى اثني عشر لوحاً كبيراً بالاضافة الى عدد من الألواح الصغيرة (أو اللويحات) ، وأن تلك الصدوع تنتشر أكثر ما تنتشر في قيعان البحار والمحيطات ، ولكنها توجد أيضاً في القارات ولكن بنسبة أقل ، وأنها ـ على اختلاف مواقعها من القارات ومن قيعان البحار والمحيطات ـ تتصل فيما بينها مكونة شبكة هائلة من الصدوع التي تمزق الغلاف الصخري للأرض الى عمق يتعدى المائة كيلومتراً (وهو متوسط سمك الغلاف الصخري للأرض) ، تمتد لمئات الآلاف من الكيلومترات طولا وعرضاً ، وهي بذلك تمزق الغلاف الصخري الى كتل ضخمة تقدر أبعادها الأفقية بعشرات أو بمئات الآلاف من الكيلومترات .

لقد ثبت بالملاحظة المباشرة وغير المباشرة أن تلك الكتل الصخرية الضخمة التي تعرف اليوم باسم ألواح الغلاف الصخري للأرض تطفو فوق نطاق من الصخور شبه المنصهرة التي تتميز بكثافة أعلى من كثافة الألواح الطافية فوقها وبحالة واضحة من اللدونة والمرونة ، جعلت ذلك النطاق يعرف باسم نطاق الضعف الأرضي ، ومن هنا فان ألواح الغلاف الصخري للأرض تنزلق بسهولة ويسر فوق مادة نطاق الضعف نتيجة لدوران الأرض حول محورها أمام الشمس ، ويعينها في ذلك تيارات حمل شديدة تندفع من داخل نطاق الضعف الى خط لقائه بالألواح فتبرد وتندفع هابطة مرة أخرى الى داخل نطاق الضعف لتسخن وترتفع الى أعلى من جديد وهكذا بطريقة مستمرة ، وربما ترجع تيارات الحمل هذه الى الحرارة الناتجة عن النشاط الاشعاعي في نطاق الضعف الأرضي والى غيره من الأسباب التي تحرك ألواح الغلاف الصخري للأرض حوله حركة مستمرة تعرف باسم حركة ألواح الغلاف الصخري للأرض التي ينتج عنها العديد من الظواهر الأرضية المهمة مثل زحزحة القارات ، واتساع قيعان البحار والمحيطات ، وتكون الجزر البركانية نتيجة للنشاط البركاني عبر صدوع قيعان البحار والمحيطات ، وتكون السلاسل الجبلية البركانية في أواسط البحار والمحيطات .نتيجة لتكاثف مثل هذا النشاط البركاني خاصة في مراحل اتساع قيعان البحار والمحيطات ، وامتلاء الفراغ الناتج عن هذا الاتساع بالحمم البركانية المندفعة عبر صدوع القاع التي تعرف عادة باسم حدود التباعد ، وتكون الأغوار البحرية السحيقة العمق عند خطوط تصادم تلك الألواح الأرضية التي تعرف اليوم باسم حدود التصادم ، وعندها تندفع ألواح قيعان البحار والمحيطات منزلقة تحت ألواح القارات في عملية تعرف بعملية الانزلاق الى الداخل، وما يُصاحب ذلك من هزات أرضية ، وثورانات بركانية ، ومتداخلات نارية ، وعمليات تحول للصخور ، وتكون للسلاسل الجبلية وغير ذلك من اعادة تشكيل الغلاف الصخري للأرض .

من المشاهدات الثابتة اليوم أن مراكز كل من الهزات الأرضية والثورانات البركانية تحتشد حول الصدوع الفاصلة بين ألواح الغلاف الصخري للأرض خاصة عند حدود تصادمها ، أما عند خطوط تباعدها حيث تتسع قيعان البحار والمحيطات فان الصهارة الصخرية تندفع من نطاق الضعف الأرضي الموجود تحت الغلاف الصخري للأرض مباشرة لملء الحيز الناشيء عن تباعد تلك الألواح مكونة شريحة من صخور بازلتية جديدة تضاف لقاع المحيط الذي يمارس عملية الاتساع ، ثم تنشق هذه الشريحة البازلتية في منتصفها من جديد بفعل عملية التصدع المستمرة التي يتعرض لها الغلاف الصخري للأرض عبر الصدوع التي يتسع على طولها قاع المحيط ، ويندفع نصفاها متباعدين عن بعضهما ليمتلىء الحيز الناشيء بينهما بصهارة بازلتية جديدة ، تيبس لتتصدع في وسطها من جديد لتتكرر العملية بمعدلات بطيئة ولكنها تؤدي في النهاية الى استمرار اتساع قيعان البحار والمحيطات الى أقصى مدى ممكن ، ثم تتوقف عملية الاتساع ، وتعود البحار والمحيطات الى الانغلاق بعملية معاكسة حتى تتلاشى تماماً من على سطح الكرة الأرضية ، ويؤدي انغلاق المحيط عادة الى اصطدام قارة بقارة أخرى عند تلاشي المحيط الفاصل بينهما ، حيث تتكون أعلى السلاسل الجبلية كما حدث عند اصطدام شبه القارة الهندية بالقارة الآسيوية وتكون سلسلة جبال الهملايا وتسمى عملية انفتاح المحيطات واتساعها ثم انغلاقها باسم « دورة البحار والمحيطات » ، وقد يعاود المحيط الانفتاح مرة أخرى



حدود الالواح المتباعدة
الصدع القاري

بعد انغلاقه بالقرب من خط الانغلاق أو بعيداً عنه .

وعلى ذلك فان البحار والمحيطات الراهنة تنقسم الى نوع يخضع لعملية الاتساع الآن مثل كل من البحر الأحمر والمحيطات الأطلسي والهادي والهندي ، ونوع في طريقه الى الانغلاق مثل البحر الأبيض المتوسط ، وعلى ذلك يعرف البحر الأحمر بأنه محيط في طور الطفولة ، بينما يعرف البحر الأبيض المتوسط بأنه محيط في طور الانغلاق .

وعملية اتساع قيعان البحار والمحيطات تتم دون أدنى زيادة ملحوظة في محيط الأرض ، بل على النقيض من ذلك تتناقص الأرض باستمرار من جميع أطرافها حسب بعض الفروض المقبولة ، وذلك لأن انزلاق ألواح الغلاف الصخري للأرض ، عبر الصدوع الفاصلة بينها ، وفوق طبقة الضعف الأرضي التي توجد أسفل منها (طبقة الصهارة الكثيفة اللزجة) ، تؤدي الى اضافات صخرية جديدة في أواسط البحار والمحيطات بفعل الحمم البركانية المندفعة عبر الصدوع المكونة لخطوط التباعد ، ويؤدي تدفق الحمم الى تكوين عدد من السلاسل الجبلية البركانية الطويلة والشاهقة الارتفاع فوق قيعان البحار والمحيطات تعرف باسم « حواف أواسط المحيطات » كما هو الحال في أواسط المحيط الأطلسي ، هذه الاضافة في أواسط البحار والمحيطات الخاضعة لعملية اتساع قيعانها ، يقابلها في الجانب الآخر ، عند اصطدام حوافها بالألواح القارية عبر خطوط التصادم ، استهلاك للألواح بمعدل الاتساع نفسه ، وذلك باندفاع لوح قاع المحيط تحت اللوح القاري حيث يصل الى مستويات أعلى حرارة فتبدأ في الانصهار وفي ازاحة كتل من صهارة نطاق الضعف الأرضي الى فوق سطح الأرض مما يؤدي الى حدوث الزلازل والبراكين ، والمتداخلات النارية والتحولات الصخرية وما يصاحب ذلك من اعادة تشكيل الغلاف الصخري للأرض خاصة بناء السلاسل الجبلية التي تبدأ صخورها في التجمع في ذلك الجيب الأرضي أو المنخفض الأرضي الذي يتكون بين اللوحين المتصادمين الهابط منهما والراكب .

هذا ما يحدث عند مدى الاتساع (أي التباعد) والتقصير (التصادم) لأي من ألواح الغلاف الصخري للأرض . أما عند كل من الحدين الآخرين للوح الأرضي فان الألواح تنزلق عبر بعضها عن طريق عدد آخر من الصدوع يعرف باسم صدوع الانزلاق ، وبهذه العملية تتحرك ألواح الغلاف الصخري للأرض عبر محيط الأرض – على الرغم من كتلها الهائلة – وهي في حركتها تحمل القارات معها محققة عدداً من الظواهر الأرضية منها ظاهرة انجراف القارات ، وظاهرة اتساع قيعان البحار والمحيطات ، ومن شواهد الظاهرة الأولى تطابق الشواطىء الشرقية للأمريكيتين مع الشواطىء الغربية لكل من أوربا وافريقيا (عبر حواف وسط المحيط الأطلسي) ، وتشابه التوزيع الصخري والمحتوى الأحفوري (خاصة بقايا الكائنات الأرضية) على كل من الجانبين ، وتشابه الظروف المناخية القديمة كذلك (مثل مناطق زحف الجليد وانحساره في العصور الجيولوجية المختلفة) وغيرها .

الألواح الرئيسة

ومن شواهد ظاهرة اتساع قيعان البحار والمحيطات وجود أحدث الصخور البركانية عمراً عند أواسطها ، وتقادمها بالتدريج حول صدوع أواسط البحار والمحيطات الى خطوط تصادمها مع ألواح القارات حيث توجد أقدم الصخور البركانية فوق قيعان البحار والمحيطات ، وذلك لأن الحمم البازلتية تتدفق عبر صدوع أواسط تلك القيعان في مراحل نشأتها الأولى مكونة قشرة بركانية تمتد بطول قاع البحر المتكون ، ثم تيبس تلك القشرة ، وتعاود الانشقاق لتندفع عبرها حمم جديدة تدفع بالحمم القديمة على جانبي

الصدع ، وبتكرار تلك العملية تتسع قيعان البحار والمحيطات بالتدريج ، وتندفع الصخور القديمة الى حواف البحار والمحيطات باستمرار حتى تتوقف عملية الاتساع ، بينما تتركز أحدث الصخور عمراً عند أواسطها حيث صدوع التباعد والاتساع ومراكز النشاط البركاني .

ومع زيادة تدفق الحمم البركانية عبر صدوع قيعان البحار والمحيطات تتكون سلاسل جبلية من الصخور البازلتية فوق تلك القيعان وحين ترتفع تظهر قممها فوق سطح الماء مكونة عدداً من الجزر البركانية كتلك المنتشرة في محيطاتها اليوم ، ومع تصادم تلك الجزر تكونت نوى القارات ، التي نمت بعملية مشابهة من التصادم الى قارة أولية واحدة عرفت باسم القارة الأم ، وبعملية معاكسة تفتت تلك القارة الأولى الى عدد من القارات الأصغر عبر صدوع غلاف الأرض الصخري ، وأخذت تلك القارات المفتتة تتباعد عن بعضها حتى وصلت الى أوضاعها الراهنة ، التي تتحرك منها باستمرار وببطء الى التحام متوقع آخر .

عبر هذه العملية التي تلعب الصدوع الأرضية الدور الأساس فيها تكونت صخور القارات (التي يغلب عليها التركيب الجرانيتي) ، وما تزال تتكون اليوم ، وتشير الكثير من الشواهد الأرضية الى أن الغلاف الصخري الأول للأرض كان مكوناً من صخور بازلتية شبيهة بما يندفع اليوم عبر صدوع قيعان البحار والمحيطات ، وأن تفاعل هذه الحمم البازلتية مع الصخور الرسوبية هو الذي أدى الى تكون الصخور الجرانيتية .

من ذلك يتضح أن صدوع الأرض لعبت في القديم وما تزال تلعب اليوم دوراً مهماً في تكوين الغلاف الصخري للأرض الذي يشكل كلا من القارات وقيعان البحار والمحيطات ، كما عملت تلك الصدوع وما تزال على اثراء ذلك الغلاف الصخري بمختلف العناصر والمركبات على هيئة العديد من المعادن والركازات التي تندفع مع الحمم البركانية الصاعدة الى سطح الأرض عبر تلك الصدوع التي لولاها ما استقامت الحياة على الأرض .

فسبحان الذي خلق الأرض ذات الصدع ، وجعل من صدوعها ممرات تندفع خلالها الصهارات الصخرية التي كونت مادة كل من القارات وقيعان البحار والمحيطات ، وأثراها عبر تلك الصدوع بمختلف الخيرات ، وقسّم غلافها الصخري الى العديد من الألواح بوساطة تلك الصدوع الطولية والعرضية التي تكون شبكة تحيط بالكرة الأرضية بأسرها وتمتد الى أعماق سحيقة .

وسبحان الذي جعل لألواح الغلاف الصخري تلك الحركة الدائبة عبر صدوع الأرض الفاصلة بينها ، التي تمتص من خلالها الطاقات الهائلة الناتجة عن التفاعلات النووية التي تحدث تحت ذلك الغلاف ، ولولا ذلك لانفجرت الأرض وتناثرت أشلاؤها في فسحة الكون ...!!

وسبحان الذي جعل من تحرك ألواح الغلاف الصخري للأرض وسيلة من وسائل تكون الجبال التي تثبت تلك الألواح ذاتها في طبقة الضعف الأرضي ، الكثيفة اللزجة التي توجد أسفل منها ، فتهدىء من حركتها ، وتجعلها قراراً صالحاً للحياة ...!! وسبحان الذي جمع قارات الأرض في كتلة واحدة عبر نشاط صدوع الأرض واندفاع الحمم منها ، ثم فتت تلك القارة الواحدة الى العديد من القارات عبر نشاط تلك الصدوع ، وهو القادر على أن يجمع ذلك الشتات ويمزقه بصدوع الأرض مرات ومرات في دورات متعاقبة تعرف اليوم باسم « دورات تكون وتفتت القارات » و « دورات انفتاح المحيطات وانغلاقها » ..!!

وسبحان الذي جعل من صدوع الأرض وتحرك ألواح الغلاف الصخري عبرها سبباً من أسباب حدوث الزلازل والبراكين والصدوع والخسوف ، وما يصاحب ذلك من منافع وكوارث ، نفعاً للصالحين ، وعقاباً للمجرمين الظالمين !!

وسبحان الذي جعل من صدوع الأرض أمراً لازماً لوجود ذلك الكوكب ، ولاستقامة الحياة على سطحه ...!!

وسبحان الذي أبدع ذلك كله ، ثم أقسم بالأرض ذات الصدع ــ وهو تعالى الغني عن القسم ــ في وقت لم يكن لأحد من البشر ادراك لهذه الحقيقة الكونية التي لم يصل الانسان الى معرفتها الا منذ أواخر الستينات من هذا القرن ، لكي يبقى ذلك شهادة حق على أن القرآن كلام الله ، وعلى أن خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وسلم) لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، علّمه شديد القوى ، والحمد لله أولاً وأخيراً □

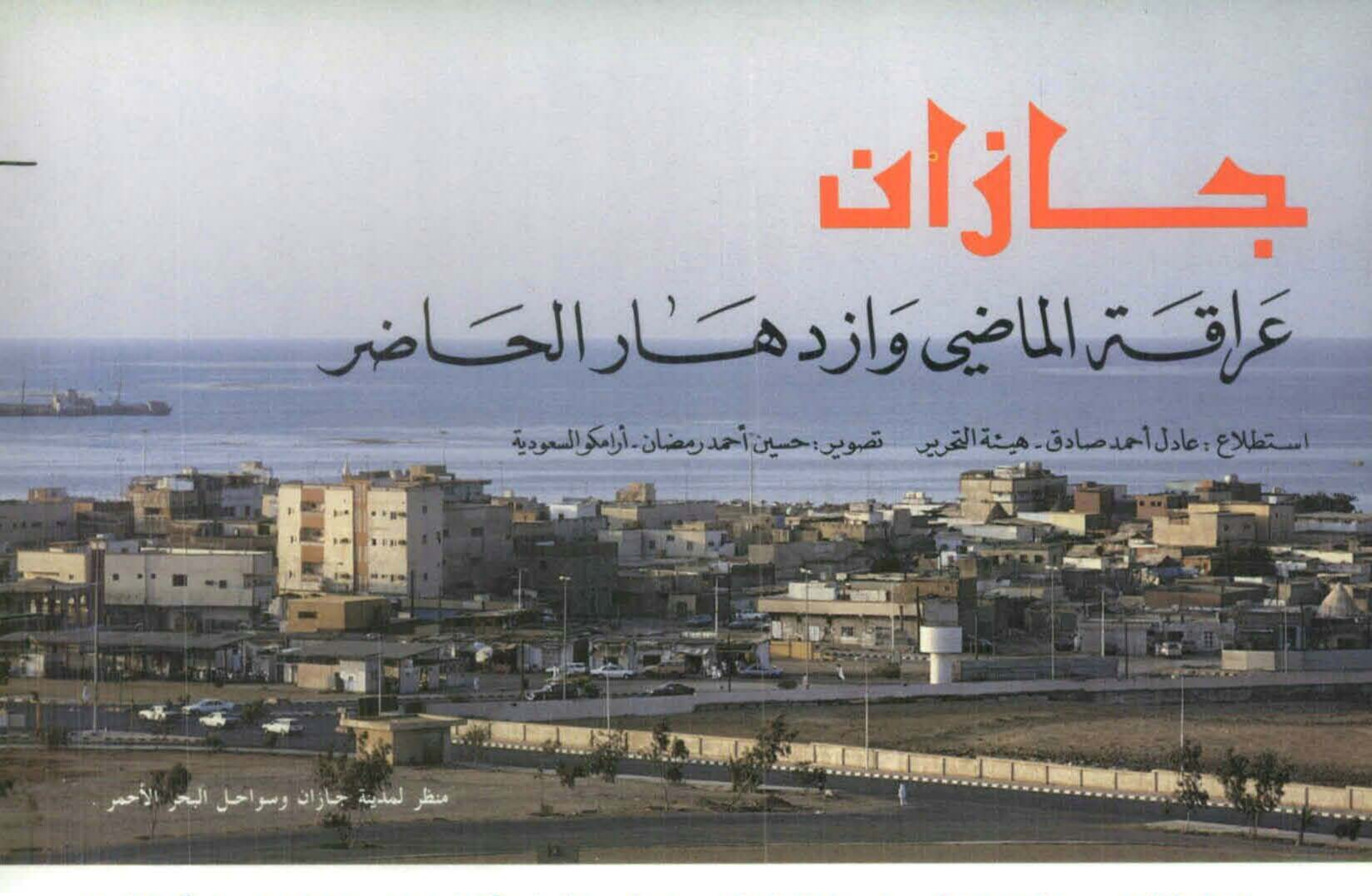
في رحاب الذكرى المحمدية

شعر: د. حسن بخيت حمادة - السفانية

عودي إلينا بأسرار الهدى عودي لتسكبي النور في أسمى المواعيد
وزيني الأرض بالايمان يملؤها فتحتمي بحنان غير محدود
وبرِّدي ما عليها من أذى وأسى وأفعمي أفقها بالخير والجود
وجددي ثوبها البالي بما نسجت يداك للحق من ذكرى وتخليد
وأشرقي فوق دنيا الناس وأتلِقي كالبدر في الليل أو كالعقد في الجيد
فأنت ذكرى وليد ليس يشبهه ما يرزق الناس من شتى المواليد
لم تشهد الأرض مولوداً يفاخره ولو رأت كل أم ألف مولود

ذكرى من النور أعيا وصفها قلمي فلذت بالصمت في عجز وتسهيد
وكيف يرقى الى أمجادها كلمي وكيف يسمو لها أسمى أناشيدي
فالشعر في مولد الهادي بلا نغم ولو تردد في مزمار داود
يا حادي الموكب العلوي خذ بيدي لأرض أم القرى في ليلة العيد
وطف بروحيَ حول البيت متَّئدا حتى أعيش بظل منه ممدود
وتسعد الروح في ساحات مولده ويلمس النور إنشادي وتغريدي
وتخلص النفس من آثام صبوتها ويبرأ القلب من ضيقي وتنهيدي
وتهدأ العين من نزفي ومن أرقي ويرحم الشيب في رأسي تجاعيدي
يا خير ذكرى صحا في نورها أملي وكُللت بهداها كل منشودي

متى تعود بها للعرب عزتهم فيستعيدوا بها حر التقاليد
ويزهر الروض فيها بعد أن عصفت به الرياح وأدمت كل عنقود
ولا نراهم شتاتاً عز جمعهم يا وحدة الصف عودي بينهم عودي



جازان

عراقة الماضي وازدهار الحاضر

استطلاع: عادل أحمد صادق - هيئة التحرير   تصوير: حسين أحمد رمضان - أرامكو السعودية

منظر لمدينة جازان وسواحل البحر الأحمر.

ما تزال القافلة تسير بخطوات ثابتة في رحاب هذا الوطن الفسيح تستطلع مناطق المملكة المختلفة ومدنها العامرة. واستكمالا لزيارة قامت بها القافلة في جمادى الآخرة ١٣٩١هـ لمدينة جازان، نعود مرة أخرى وبعد عشرين عاماً تقريباً الى المنطقة نفسها لمعايشة التطورات التي شهدتها تلك المدينة في طريقها للتحضر أسوة بمدن المملكة الأخرى.

جازان في التاريخ

تقع منطقة جازان في الجنوب الغربي من المملكة على امتداد البحر الأحمر في سهل ساحلي. وتمتاز بتربة خصبة تزرع أربع مرات في السنة، ولذا أطلق عليها اسم «سلة خبز المملكة». كما تمتاز بموقع فريد بصفتها بوابة المملكة الجنوبية الغربية، وهي ذات طبوغرافية متنوعة حيث الجبال الشاهقة والأودية والسهول والشواطىء الرملية.

وتغطي المنطقة مساحة تبلغ مائة ألف كيلومتر مربع، ويمتد ساحلها مسافة ٣٥٠ كيلومتراً تقريباً من «القمحة» شمالا الى «الموسّم» جنوباً قرب الحدود اليمنية، وتنتهي شرقاً بجبال رجال ألمع وهروب وبني مالك والنظير. أما سهولها الساحلية فتضيق وتتسع تبعاً لقرب الجبال وبعدها عن البحر، ويبلغ متوسط عرض السهل الساحلي حوالي ٨٠ كيلومتراً.

أما مدينة جازان الواقعة على خط عرض ١٦,٥٣ درجة شمالا وخط طول ٤٢,٣٣ درجة شرقاً، فهي عاصمة هذه المنطقة والميناء الرئيس لها وللمناطق المجاورة. والمدينة عبارة عن رأس يمتد في البحر على شكل نصف دائرة يحيط بها البحر من الشمال والغرب وتحيط بها جبال الملح الصخري من الجنوب والشرق. والى جانب العاصمة توجد مدن وقرى أخرى تبلغ نحو ٤٠٠ مدينة وقرية أشهرها أبو عريش، وصبيا، وبيش، وحاكمة، وصامتة، والعارضة، والدرب، وعيبان، وهروب، واحد المسارحة، وضمد. وجميعها ترتبط ببعضها بطرق معبدة فسيحة ومضاءة.

وأما بالنسبة لما ورد عن جازان في كتب التاريخ، فقد ذكر «ديودورس الصقلي» المتوفى في القرن الأخير قبل الميلاد في كتابه المعروف بالمكتبة التاريخية ''Bibliotheca Historica'' أن بلاد العرب أرض واسعة تسكنها شعوب وقبائل عديدة، من جملتهم ''Gasandi''. ويرى المؤرخ «جلاسر – Glaser» ان المراد بهذه التسمية موضع جازان. كما ذكر «بطليموس – Ptolemy» اسم قبيلة سماها ''Gassanitae'' ويظهر أنه قصد القبيلة ذاتها التي ذكرها ديودورس. أما «سترابو – Strabo» الكاتب الجغرافي المعاصر لديودورس فيذكر في كتابه ''Geographia'' شيئاً مماثلا لما ذكره ديودورس، وقد أورد في معرض وصفه لحملة «أوليوس غالوس – Aelius Gallus» الفاشلة لغزو بلاد العرب للاستيلاء على ثرواتها التي اشتهرت بها من الاتجار بالمر واللبان والبخور والافاوية والحجارة الكريمة بتكليف من الامبراطور الروماني «أغسطس قيصر» أسماء مدن كثيرة مر بها، منها مدينة ''Negrana'' أي نجران. ولا يستبعد أن يكون «غالوس» قد مر بكثير من مدن منطقة جازان المعروفة آنذاك. والمعروف أن

كتب مهداة

★ « الادارة المدرسية بين النظرية والتطبيق »

تأليف محمد صالح البليهشي . كتاب تربوي يرسم المعالم الصحيحة للادارة المدرسية على أرض الواقع المدرسي بعيداً عن النظريات الفلسفية ، ويوضح لمدير المدرسة الخطوات التي تقوده الى انجاز عمله بنجاح ، والمؤلف ـ كما كتب عنه الأستاذ محمد هاشم رشيد في المقدمة ـ أحد الذين يحبون عملهم ويضحون من أجله بالشيء الكثير وهو يؤمن بقدرات الشباب وأهمية تربيتهم واعدادهم .. بالاضافة الى أن المؤلف صاحب خبرة طويلة في جميع مراحل التعليم . يقع الكتاب في ٢٧٠ صفحة من القطع الكبير .

★ « الزمن القادم »

تأليف عبدالملك قاسم . يبرز الكاتب في هذه المجموعة القصصية بعضاً من القيم الاسلامية السامية ، وهو يوضح هدفه من اختياره لموضوعات قصصه ؛ فيقول في مقدمته للمجموعة « ان المتتبع للحركة الثقافية في العالم الاسلامي يلمح غياب الكثير من أغراض الأدب الاسلامي .. لذلك أحببت المشاركة بهذا الجهد المتواضع اسهاماً مني ولو بالقليل .. » وتقع هذه المجموعة ، وهي الأولى للمؤلف ، في ٦٥ صفحة من القطع الصغير .

★ « مقومات الشخصية المسلمة »

تأليف د. ماجد عرسان الكيلاني . يفصّل هذا الكتاب أهمية التربية الاسلامية الحديثة وأثرها في تكوين الانسان المسلم النافع لدينه ووطنه . صدر الكتاب في سلسلة كتاب الأمة التي يصدرها مركز البحوث والمعلومات برئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر ، ويقع الكتاب في ١٦٤ صفحة من القطع المتوسط .

★ « الادارة والحكم في الاسلام »

تأليف د. عبدالرحمن بن ابراهيم الضحيان . يوضح المؤلف هدفه من تأليف هذا الكتاب فيقول في المقدمة « ان الهدف هو رفع راية الادارة الاسلامية مرة أخرى ، واظهارها بالمظهر الذي تستحقه لتفيد منها أمة الاسلام ، ولتكون بديلا أصيلا وخلفاً لما هو دخيل وغير أصيل من أفكار التضليل » . وهذه هي الطبعة الثالثة من الكتاب الذي يقع في ٣٦٨ صفحة من القطع الكبير .

★ « قضايا المواطن »

تأليف احمد علي الشمر . يعالج هذا الكتاب قضايا حيوية لها أهميتها مثل دور الأعلام في التنمية ومعارض الكتب ، ويجيب على أسئلة ملحة مثل : لماذا تفقد برامج التوعية أهميتها ؟ وهل تستعيد المكتبة مكانتها . كما يناقش بالاضافة الى هذه القضايا الثقافية قضايا اجتماعية واقتصادية . يقع الكتاب في ٢٥٤ صفحة من القطع الكبير .

★ « البيئة والأورام »

تأليف د. سعيد محمد الحفار ، يحاول المؤلف الاجابة على هذا السؤال الصعب : هل يقدّر لجيلنا أن يشهد الساعات التي يلوي الطب فيها ذراع داء السرطان ؟ والاجابة الصعبة : أنه على الرغم من كل الأسلحة التي استخدمها الطب الحديث في صراعه مع هذا المرض إلا أنه ما يزال مرضاً سيء السمعة لدى كل من المريض والطبيب على السواء . والكتاب صادر عن دار الفكر المعاصر ـ بيروت ، ويقع في ٥٢٨ صفحة من القطع الكبير .

★ « الخبر وما جاورها .. أيام زمان »

تأليف عبدالله المدني ، يعتمد هذا الكتاب بشكل أساسي على الصور الفوتوغرافية النادرة التي حصل عليها المؤلف لتعطي صورة واضحة عن منطقة الخبر . ويقول المؤلف « ان ظهور هذا الكتاب بالصورة التي هو عليها لا يعني أنني مؤلفه ؛ إذ أن عملي اقتصر على اعداده بمعنى جمع محتوياته ثم تصنيفها وتبويبها » . ورغم ما يقوله المؤلف فان الكتاب بصورته هذه جهد كبير وعمل يستحق القراءة والمشاهدة . يقع الكتاب في ٢٧٠ صفحة من القطع الكبير .

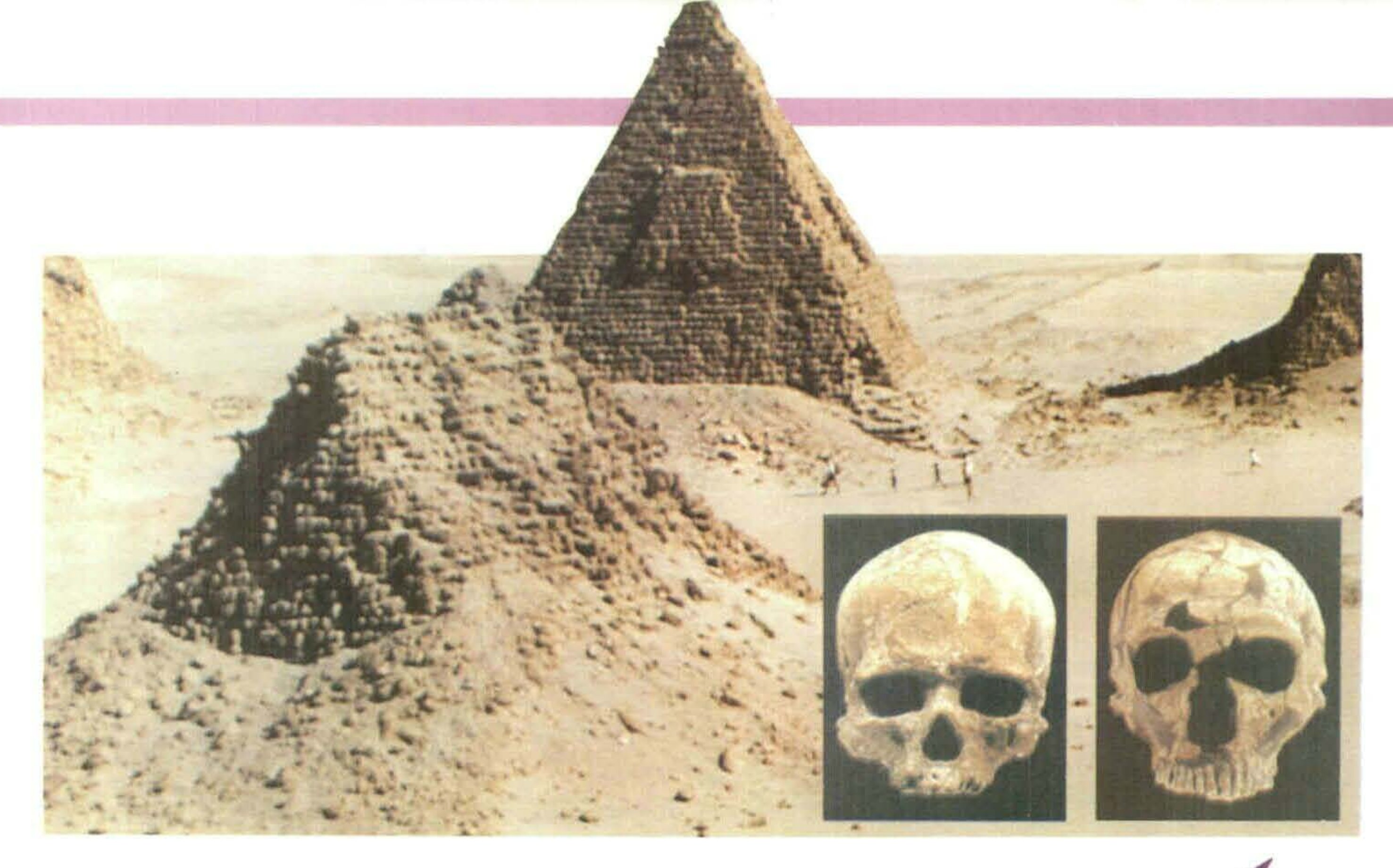
في ذمــة الله

فقدت الحركة الأدبية والفكرية في المملكة والعالم العربي واحداً من أقطابها الذين حملوا لواءها وأثروا رصيدها .. إنه الأديب والكاتب **محمد حسين زيدان** ، الذي كان يشغل قبل وفاته رئاسة تحرير مجلة « الدارة » التي تصدرها دارة الملك عبدالعزيز بالرياض .

ولد محمد زيدان ، رحمه الله ، بالمدينة المنورة عام ١٣٢٧هـ . وكان له أكثر من برنامج اذاعي وتلفازي ومحاضرات بالجمعيات والروابط الأدبية ، وقد تفرغ للكتابة الصحفية ونالت القضايا الوطنية والتنموية كل اهتماماته .

تغمد الله الفقيد بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنانه وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان .

﴿ إنّا لله وإنّا إليه راجعون ﴾



الكيمياء.. ودراسة التاريخ

بقلم: الأستاذ جهاد عبدالله أحمد - الأردن

تلعب الكيمياء بتطبيقاتها المختلفة دوراً مهماً في معظم نواحي الحياة الانسانية ، وقد امتد هذا الدور ليشمل استفادة العلوم الأخرى من تطبيقات الكيمياء لتأكيد مفاهيمها ونظرياتها واستكشاف المعلومات المطلوبة لها . ومن بين العلوم الانسانية والتطبيقية التي استفادت من التطبيقات الكيميائية علم التاريخ بشكل رئيس ، اضافة الى علمي الأرض (الجيولوجيا) والآثار ضمن الاطار نفسه .

وتتمثل هذه الاستفادة في استخدام تقنيات كيميائية مختلفة لتحديد وتقدير أعمار ومكونات مواد تاريخية مختلفة كالقطع الأثرية والنقود والصخور ، بل حتى الأجساد المحنطة وبقايا العظام . وقد تعدت التطبيقات الحديثة هذا الحد الى تقديم وصف تشخيصي في بعض الأحيان .

وتعد الدراسات الاشعاعية الأبرز من بين التطبيقات المستخدمة في مجال الدراسات التاريخية . وتعتمد فكرة الدراسات الاشعاعية بشكل رئيس وأساسي على ما يعرف بعمر النصف (Half-life) وهو العمر اللازم لتحلل نصف كمية ذرات عنصر ما ، والتحلل يعني هنا : الاشعاع ؛ أي اصدار جسيمات مشحونة مثل جسيمات ألفا وبيتا وجاما . والعناصر المشعة ، التي تتحلل ، معدودة ومعروفة ، وهي لا تتحلل نهائياً ، بل تتحلل من خلال اصدار نوع محدد من الجسيمات الثلاث التي ذكرنا ، ليتحول العنصر بالنهاية الى عنصر آخر مختلف عنه ذرياً ، فاذا فقد اليورانيوم ٢٣٨ جسيم الفا . تحول الى

هذه المنطقة كانت مسرحاً لدول مَعين وسبأ وقتبان وحمير ، حيث كانت تمر بها تجارتهم المتجهة شمالا .

أما اسم جازان فقد أخذ يتردد بصورة واضحة على الألسنة منذ صدر الاسلام فجاء في حديث نبوي أثبته يحيى بن آدم ، المتوفى سنة ٢٠٣هـ في كتاب « الخراج » أن رجلا قال يا رسول الله : إني أحب الجهاد والهجرة ، وأنا في حال لا يصلحه غيري ، فقال له النبي ، ﷺ ، « لن يأتيك الله من عملك شيئاً ولو كنت بضمد وجازان » .

وكانت جازان تعرف في القرن الرابع الهجري باسم « المخلاف السليماني »[١] نسبة الى سليمان بن طرف الحكمي أحد أمرائها ، الذي آلت اليه رئاسة قبيلة حكم ، ثم ضم اليه مخلاف عثر فيما بعد ، وجعل من بلاد « حكم وعثر » امارة واحدة استمرت من عام ٣٧٣هـ الى ٣٩٣هـ على نحو ما هو معروف في كتب التاريخ[٢] . واسم جازان أصابه شيء من التحريف في هذا القرن فأخذ بعض الناس يقولون « جيزان » بدلا من « جازان » اسمها القديم الذي ما يزال يردده أهالي المنطقة . ويقدم أهل المدينة تعليلا طريفاً لاسمها بقولهم أنه مؤلف من كلمتين « جاء » و « زان » وأسقطت الهمزة فأصبحت « جازان » ومعناها : جاء من أسس المدينة وزينها .[٣]

جَولَــــة القـــافـــلة

قبل أن تبدأ القافلة جولتها الواسعة في منطقة جازان كان لها لقاء مع معالي أمير منطقة جازان محمد بن تركي السديري ، الذي قال : « لا شك أن منطقتنا قد خطت خطى واسعة وحثيثة على طريق التقدم الملموس في مختلف المجالات . فان كنا نفخر قبل عشرين عاماً بمشروع عملاق هو سد وادي جازان ، فاننا اليوم يحق لنا الفخر والاعتزاز بسلسلة مترابطة من الانجازات العظيمة من بينها مشروعات حيوية تمس رفاهية المواطن وتساعده على اجتياز ظروف الزمان والمكان وفي طليعتها ميناء جازان ، ومستشفى الملك فهد ، والمدينة الرياضية ، والمطار الاقليمي ، ومشروع التنمية الزراعية ، والمشروعات التعليمية والصحية والزراعية والثقافية والاجتماعية والطرق والكهرباء ، الى جانب مشروعات مستقبلية عديدة سترى النور في الفترة القادمة ، باذن الله ، وهدفها جميعاً ازدهار الوطن وسعادة المواطن » .

ولدى تجوال القافلة في جازان ، وجدنا المنطقة قد تغيرت تغيراً واضحاً عما كانت عليه قبل عشرين عاماً ، فالمرء لا يكاد يصدق هذا التغير وربما تساءل : أيمكن أن تتطور منطقة بهذه السرعة الكبيرة ؟ ولا بد لمن يريد أن يتعرف الى تاريخ هذه المنطقة أن يتوقف عند أعمال المؤرخ الكبير الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي الذي أفادنا خلال اللقاء به أنه قد بذل جهوداً كبيرة ، مادية ومعنوية لوضع مؤلفاته حول تاريخ المنطقة ، التي بلغت ستة عشر مؤلفاً حتى الآن ، بين شعر وتاريخ وخلافه . كما قال ان المنطقة تتميز أيضاً بالمياه المعدنية . ويقترح الأستاذ العقيلي استغلال هذه الينابيع بالطرق العلمية الحديثة بعد تحليلها ومعرفة خصائصها ، وأن



معالي أمير منطقة جازان محمد بن تركي السديري .



قلعة الدوسرية على قمة أحد الجبال تشرف على الميناء وهي قلعة تركية على الأرجح .

١ ـ المخلاف وجمعها مخاليف بمعنى الاقليم أو المقاطعة .

٢ ـ تاريخ المخلاف السليماني ، محمد بن أحمد عيسى العقيلي .

٣ ـ القافلة جمادى الآخرة ١٣٩١هـ .

تقام حولها الحمامات الصحية وأحواض السباحة والمصحات الطبيعية، وتعبد الطرق المؤدية اليها. ومن الينابيع الحارة: العين الحارة وموقعها على بعد ٥٠ كيلومتراً من جازان في الناحية الجنوبية الشرقية. وقد زارت القافلة هذه العين التي أقيمت الى جانبها استراحة ودورات مياه. ومن الينابيع الأخرى الوغرة، والبزة، وغيرهما.

كما أفادنا الأستاذ العقيلي أن هناك عدة أسواق شعبية في جازان منها سوق صامته وسوق الأحد، وسوق الخوبة، وسوق أبو عريش، وسوق صبيا، وسوق عيبان، وسوق الشقيق، وغيرها. وقد زارت القافلة بعضاً من هذه الأسواق التي تباع فيها المنتوجات الشعبية وغيرها من السلع الأخرى.



المؤرخ الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي، يتحدث الى المحرر.

ميناء جازان

تعد جازان بحكم موقعها ممراً حيوياً للرائح والغادي ومحطة يلتقي فيها المسافرون على الطرق البرية والبحرية على حد سواء. ويقع ميناء جازان في أقصى الجنوب الغربي للمملكة وهو ثالث الموانيء الرئيسة من حيث السعة على ساحل البحر الأحمر، كما أنه البوابة الرئيسة لواردات الجزء الجنوبي الغربي من المملكة من مختلف أنحاء العالم.

وعندما أنشئت المؤسسة العامة للموانيء في غرة رجب عام ١٣٩٧هـ اتخذت اجراءات للقضاء على أزمة الاختناق في ميناء جازان وتطويره، استهدفت توفير التجهيزات والبنيات الأساسية، وزيادة انتاجية الميناء عن طريق انشاء الأرصفة وزيادة ساحات التخزين وتحديث أساليب مناولة البضائع، والاهتمام بالسلامة وأجهزة الاتصال وتطوير أداء الكفاءات الوطنية.

والميناء يحتوي على ١٢ رصيفاً تجارياً و ٨ مستودعات مسقوفة مصنفة حسب نوعية البضائع، وساحات مكشوفة بلغت مساحتها أكثر من ٧٥ الف متر مربع. كما توجد محطة الارشاد الملاحي اللاسلكي التي تقوم بتحديد مواقع السفن وتوفير السلامة البحرية.

وقد التقينا مدير عام ميناء جازان الدكتور حمود الصعدي الذي أفادنا أن عدد الموظفين السعوديين في الميناء بلغ حالياً أكثر من ١٣٤ موظفاً. ونتيجة لضخامة الميناء وحجم أعماله، فقد توجهت القافلة بسؤال للدكتور الصعدي حول السلامة، فقال: «اهتمت ادارة الميناء اهتماماً كبيراً بتوفير تجهيزات السلامة في جميع مرافق الميناء، فهناك تجهيزات تامة لاطفاء الحرائق، ووحدة اسعاف أولي، ووحدة مراقبة مركزية مزودة بأجهزة اتصالات وبالخرائط الضرورية لتحديد مواقع الحوادث».

ويقول الدكتور الصعدي: «ان تطوير الميناء بهذه الصورة الجيدة والحديثة كان له تأثير ايجابي؛ حيث أصبحت المواد الغذائية ومواد البناء متوفرة وبأسعار معقولة، اذ كان الناس في السابق يتكبدون عناء السفر والنقل عندما كانوا يستوردون بضائعهم التي يحتاجونها من جدة. وتمتد خدمات الميناء لجميع المناطق المجاورة لجازان التي تربطها شبكة طرق معبدة لنقل البضائع وتوفير المنتوجات للمناطق الداخلية.



ميناء جازان ممر حيوي وذو أهمية اقتصادية كبيرة للمنطقة والمناطق المجاورة

السد ومشروع التنمية الزراعية بوادي جازان

يعد سد وادي جازان من أضخم السدود التي بنيت في المملكة، وقد قام بافتتاحه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبدالعزيز في عام ١٩٧٢م، ووقتها كان يشغل منصب النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية.

ويقول الأستاذ عوض طاهر سلام مدير مشروع التنمية الزراعية والمسؤول عن تشغيل وصيانة سد وادي جازان «لقد أعدت الدراسات التمهيدية لبناء السد في عام ١٩٥٤م من قبل منظمة الأغذية والزراعة الدولية للأمم المتحدة، ثم أقيم السد في الفترة ما بين ١٩٦٧ـ ١٩٧٠م».

وقد رافقنا في زيارتنا لموقع السد الأستاذ سلام الذي زودنا ببعض المعلومات



سد وادي جازان أهم مشروع حيوي في المنطقة .

المهمة عن السد فقال : « كانت الأمطار تهطل بغزارة وتجري في الوديان وفوق الجبال بسرعة كبيرة فتسبب بعض الخسائر ، في الحقول والممتلكات ، وجاءت فكرة انشاء السد لتفادي هذه الخسائر ، ورفع منسوب المياه الجوفية في منطقة الوادي حتى لا تنضب مياه الآبار » . ويضيف الأستاذ سلام : « ان السد عبارة عن مبنى خرساني ثقيل يرتفع الى ٤٢,٦ متراً فوق أعمق مستوى للأساس ويكوّن كتلة تحجز المياه لأقصى طول قدره ٣٣٦ متراً وعند القاعدة يكون سمك السد ٣٩ متراً . وببناء هذا السد أمكن تجميع مياه خمسة أودية في خزان بمساحة ١٠٠٠ هكتار بسعة تخزين قدرها ٧١ مليون متر مكعب . كما بنيت شبكة ري أمكن من خلالها تصريف المياه وتوزيعها عبر قنوات رئيسة وفرعية الى أراضي المزارعين » . وهذه الشبكة مكونة من ١٤١ منشأً خرسانياً وثلاثة سدود تحويلية ضخمة ، ويقوم بتشغيل السد وشبكة الري فنيون سعوديون بدلا من الشركة الانجليزية التي كانت تقوم بتشغيل السد وصيانته . وما من شك كان للسد آثار ايجابية واضحة منذ افتتاحه مثل زيادة مساحة الأرض المزروعة والمروية ورفع مستوى انتاج الأرض والعاملين فيها وزيادة الدخل واتاحة فرص العمل لأبناء المنطقة .

أما بالنسبة لمشروع التنمية الزراعية فلقد بدأ في العام ١٩٧١م عندما أنشئت محطة الأبحاث بتعاون وزارة الزراعة مع منظمة الزراعة والأغذية الدولية . وكان الهدف من انشاء المحطة تنمية الزراعة في المنطقة وإدخال أنواع جديدة من الزراعة وتطوير الكوادر السعودية .

والحقيقة أنه قبل ١٥ عاماً لم يكن الناس يعرفون إلا نوعين أو ثلاثة من المحاصيل الزراعية . ولكن الآن يمارس المزارعون في المنطقة الكثير من النشاطات الزراعية ويعرفون طرقاً عديدة ومتطورة لرعاية المحاصيل والتسميد والوقاية . وقد لعبت محطة الأبحاث هذه دوراً مفيداً للغاية في رفع مستوى وعي المزارعين على أسس علمية .

وقد وضع مشروع التنمية الزراعية خطة من ثلاث مراحل للتنمية الزراعية ، المرحلة الأولى كانت دراسة نوعيات الخضروات في المنطقة والأنواع التي يمكن أن تزرع بنجاح كالطماطم والفلفل والكوسة والخيار والفاصوليا والخس والجرجير . ولقد انتهى المشروع من مرحلة الخضروات نهائياً ولديه جميع المعلومات التي تتطلبها الزراعة .

الأستاذ عوض طاهر سلام مدير مشروع التنمية الزراعية والمسؤول عن تشغيل وصيانة سد وادي جازان .

وكانت المرحلة الثانية خاصة بالمحاصيل كالقطن والذرة الشامية والفول السوداني وعباد الشمس والسمسم وجميعها تحتاج لتصنيع ، وتساعد المحطة المزارعين الذي يجدون صعوبة في جني بعض المحاصيل التي يصعب حصادها ، وذلك بارسال آلات الجني الحديثة اليهم . أما المرحلة الثالثة فقد كانت إدخال الفاكهة كالمانجو والجوافة ، وتم ادخال أصناف مختلفة من المانجو والتين الذي أمكن زراعته في غير فصل زراعته .

ويقول الأستاذ سلام : « المرحلة المهمة الآن هي تشجيع المزارعين لاقتناء الشتلات الجديدة التي نقوم بتهجينها لتعطي محاصيل ذات نوعية جيدة ، وبأسعار رخيصة » . وحول سؤال عن أقسام المشروع ، قال الأستاذ سلام : « توجد عدة أقسام ولكن أهمها البستنة الزراعية ، وقسم الآليات الزراعية ، وقسم الري ، وقسم الارشاد والتدريب ، وقسم الصيانة والتشغيل ، وقسم مساحة الأراضي » .

وزارت القافلة قسم الارشاد والتدريب حيث يتم اعطاء دورات تدريبية في الزراعة لمنسوبي وزارة الزراعة وللمزارعين المحليين . وتوجد في قسم الارشاد والتدريب الوسائل السمعية والبصرية والأفلام وشرائح الصور وجميعها تستخدم في أثناء التدريب . وكان واضحاً أن المشروع نجح بنسبة مدهشة لا تقل عن ٩٩٪ في سعودة الأيدي العاملة عن طريق الحوافز التي يقدمها للمضي قدماً في طريق السعودة . فالكوادر السعودية تقوم باعداد الدورات التدريبية نظرياً ، وتستوعب كل دورة ٢١ متدرباً . كما يقع الاختيار في أكثر الأحيان على الفلاحين السعوديين الذين يفلحون أراضيهم بأنفسهم ، أو على أبنائهم الذين يمتلكون خلفية لا بأس بها عن الزراعة . وتستمر الدورة التدريبية الواحدة لأبناء المزارعين لمدة تسعة أشهر ، أما بالنسبة لمنسوبي وزارة الزراعة فانها لا تزيد عن أسبوعين .

التعليم

تواكب النهضة الزراعية والعمرانية التي تشهدها المنطقة نهضة تعليمية ، وقبل عشرين سنة كان في المنطقة ٦٧ مدرسة ابتدائية للبنين و ١٤ مدرسة للبنات و ٤٨ لمكافحة الأمية و ٩ مدارس متوسطة ثانوية ومعهد ثانوي للمعلمين ومعهد متوسط للمعلمات ومعهد علمي في مدينة جازان . وكانت هذه المدارس تضم ما يربو على ١٨٠٠٠ طالب وطالبة في مراحل التعليم المختلفة .

أما خلال وجود القافلة في المنطقة هذه المرة فلقد كان لها لقاءان مهمان لبحث مستوى التعليم وتطوره في الوقت الحاضر . اللقاء الأول كان مع مدير عام الادارة العامة للتعليم بمنطقة جازان الأستاذ محمد سالم العطاس ، الذي قال « لا يوجد طفل في سن التعليم في هذه المنطقة لم يلتحق بالمدارس نظراً لكثرتها » . وتوجد الآن في منطقة جازان ٢١٨ مدرسة ابتدائية للبنين و ٨٥ مدرسة متوسطة و ٢١ مدرسة ثانوية ، وعدد الطلاب يصل الى ٤٦ ألف طالب تقريباً في العام ١٤١٢هـ ، بينما وصلت نسبة السعوديين في جهاز التعليم ٩٢٪ في المدارس الابتدائية و ٦٥٪ في المدارس المتوسطة و ٤٥٪ في المدارس الثانوية .



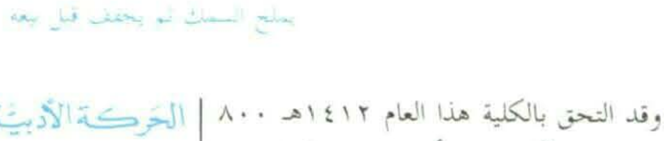
يعمل الفلاحون على تهجين المزروعات . وهذه احدى نشاطات مشروع التنمية الزراعية .



يرتاد مكتبة النادي الأدبي بجازان كثير من القراء مساء كل يوم .

أما اللقاء الثاني فقد كان مع الشيخ عيسى رديف الشماخي الرئيس العام للرئاسة العامة لتعليم البنات في منطقة جازان ، الذي قال : « لقد وصل التعليم بالنسبة للبنات في المنطقة الى مستويات مشرفة ؛ إذ أنه حتى الجبال الوعرة نالها نصيبها من المدارس والمدرسات ذات الكفاءة العالية » . أما عدد مدارس البنات في المنطقة فقد وصل الى ٢٨١ مدرسة ابتدائية للبنات و ١٠٠ مدرسة متوسطة و ٣٠ ثانوية و ٨ معاهد معلمات و ٣ مدارس ابتدائية لتحفيظ القرآن ومدرسة متوسطة ، وأخرى ثانوية لتحفيظ القرآن أيضاً . وبالنسبة للدراسات العليا فقد افتتحت كلية متوسطة للبنات في عام ١٤٠١هـ ، وطورت هذا العام الى كلية تربية تضم ٦ أقسام نصفها علمي والنصف الآخر أدبي . والأقسام العلمية هي الرياضيات والأحياء والاقتصاد ، أما الأقسام الأدبية فهي الدراسات الاسلامية واللغة العربية واللغة الانجليزية ، وقد التحق بالكلية هذا العام ١٤١٢هـ ٨٠٠ طالبة . وهكذا نرى أن مستوى التعليم في المنطقة قد قفز عالياً خلال هذه الفترة القصيرة .





يملح السمك ثم يجفف قبل بيعه

الخدمات الصحية

لكي يستمر السير قدماً في طريق التقدم والتطور ، لابد من المحافظة على أناس أصحاء يعملون في المنطقة بكل همة وعافية . وللاطلاع على المستوى الصحي الذي تتمتع به منطقة جازان ، انتقلنا الى المديرية العامة للشؤون الصحية ، وهناك التقينا مديرها العام الدكتور عبدالرحيم عقيل ، وكان سعيداً بوجود القافلة في المنطقة وهو من المواظبين على قراءتها منذ الصغر . وقال الدكتور العقيل : « يوجد في المنطقة ما يقارب من ١٢ مستشفى بسعة تصل الى ١٨٨٠ سريراً . ويبلغ عدد مراكز الرعاية الصحية الأولية ١٣٣ مركزاً تغطي المدن والقرى والمناطق الوعرة . وهي تطبق البرنامج الشامل للرعاية الصحية الأولية الذي يشمل رعاية الأطفال والمسنين والطلبة والحوامل .

ويوجد الآن مستشفى الملك فهد في أبي عريش ، وهو يتسع الى ٥٠٠ سرير ، ومجهز بوسائل طبية ذات تقنية عالية ، وقد أسهم هذا المستشفى في تخفيف آلام المرضى وشفائهم باذن الله » .



تضم المستشفيات أحدث الأجهزة الطبية وأكثرها تطوراً لتقديم الرعاية الصحية للمرضى

الحركة الأدبية والرياضية

تتمتع منطقة جازان بوجود شباب مثقف أسهموا في إرساء قواعد الحركة الأدبية والفكرية في المملكة مثل المؤرخ الأستاذ محمد العقيلي الذي التقت به القافلة في بداية هذه الرحلة ، وقد رأس في فترة من الفترات النادي الأدبي في جازان الذي تأسس في عام ١٣٩٤هـ . كما أن بين أبناء جازان شاعر ذائع الصيت هو محمد علي السنوسي الذي كان شعره ينبض بعاطفة صادقة .

ويلعب النادي الأدبي دوراً ثقافياً متميزاً على مستوى المملكة من خلال اصداراته التي تملأ رفوف المكتبات العامة وتباع في الأسواق ، وأيضاً نشاطاته التي يقيمها ، سواء المحاضرات أم الأمسيات الشعرية والقصصية والتشكيلية . وقد التقت القافلة خلال زيارتها للنادي الأستاذ عمر طاهر زيلع نائب رئيس النادي الأدبي ، وهو يشغل أيضاً منصب مدير الجمعية الخيرية بمنطقة جازان . الذي قال « ان نشاطات النادي تتمثل في طبع الكتب وعقد الأمسيات والمحاضرات . وقد بلغ عدد الكتب التي أصدرها النادي حتى الآن ٧٠ كتاباً أثرت المكتبة العربية بلا شك . وقد عقد النادي ١٠٠ محاضرة في مختلف الموضوعات ، منها ٧٠ أمسية شعرية ، ٢٠ أمسية قصصية » .



في سوق عيبان الشعبية ، تقوم هذه الناقة بالدوران في حلقة محددة لاستخراج زيت السمسم .

وفي الوقت الحاضر يتم الانتهاء من وضع اللمسات الأخيرة على مبنى النادي الأدبي الجديد ، وهو ثمرة جهود كبيرة وطويلة قام بها النادي . أما التكلفة التقديرية للمبنى الجديد فهي ٣ ملايين ريال . ويضم المبنى مسرحاً يتسع لحوالي ٣٠٠ شخص ، ومكتبة من دورين ، ومكتبة سمعية وبصرية ، ونادياً للطفل ، وحديقة .

أما الحركة الرياضية في المنطقة فهي تشهد نشاطاً مستمراً وجيداً ، والتقت القافلة الأستاذ محمد أحمد هادي ، مدير مكتب الرئاسة العامة لرعاية الشباب في منطقة جازان ، وتم افتتاح المكتب في عام ١٣٩٧هـ ، وهو يشرف الآن على نشاطات ٦ أندية في المنطقة .

ومنذ ثلاث سنوات تم افتتاح مدينة رياضية ضخمة للغاية ، تجولت القافلة في مرافقها التي يمارس فيها الشباب مختلف هواياتهم ويستفيدون من هذه المرافق بشكل فعال . وتضم المدينة الرياضية استاداً تستوعب مدرجاته عشرة آلاف متفرج ، كما توجد في المدينة بيوت الشباب وتتسع لخمسة وستين سريراً . وتضم أيضاً مسرحاً وقاعة محاضرات تخدم النشاط الثقافي وصالة ألعاب داخلية لألعاب الكرة الطائرة وتنس الطاولة والألعاب الفردية كالجودو والجمباز ، ومسبح جميل .

الحرف التي يزاولها السكان

نتيجة لموقع جازان المتميز على ساحل البحر الأحمر ، فقد كان من الطبيعي أن يمارس أهل هذه المنطقة مهنة صيد الأسماك . والسمك وجبة رئيسة لأبناء المنطقة ، وتوجد سوق خاصة ببيع الأسماك . وقد زارت القافلة هذه السوق وتعرفت الى أنواع الأسماك وطرق بيعها .

وهناك واحدة من المهن الصعبة التي بقي أهالي المنطقة يمارسونها وهي استخراج الملح الحجري من باطن الأرض ، حيث يوجد في مدينة جازان أكبر منجم للملح الصخري في المملكة . وكان الأهالي يقومون بتفتيت صخور الملح بطرق بدائية وتعبئتها في أكياس ونقلها الى جميع أنحاء المنطقة جنوباً وشمالا عن طريق الجمال قبل أن يعرف الناس الملح المكرر . ثم تطورت بعد ذلك المعدات وأصبح الديناميت يستخدم في تفجير صخور الملح فازدادت الكميات المستخرجة وهي الآن من ضمن جملة المعادن التي تتولى وزارة البترول والثروة المعدنية ، التخطيط لاستغلال مواردها واقامة صناعات وطنية لاستخراجها .

لقد كانت جولة القافلة مفيدة ومثمرة في هذه المنطقة الجنوبية الغربية من المملكة ، وقد رأينا جازان اليوم ، وهي مقارنة بجازان الأمس ، قد شقت طريقها نحو الحاضر بشكل مدهش ، في جميع النواحي ، العمارية والفكرية والرياضية والتعليمية والصحية ، بل في جميع الخدمات من الماء والكهرباء والاتصالات التي وصلت الى جميع المناطق لخدمة المواطنين .

واليوم وجازان تعيش حالة الازدهار هذه ، أضافت الى المزايا التي تتميز بها ، ميزة أخرى هي السياحة الشتوية . فالعديد من الناس يحبذون قضاء إجازات الربيع هناك حيث تشهد مناطق المملكة برودة شديدة للغاية ، في الوقت الذي يلف جازان دفء عجيب يشد اليه الهاربين من البرد . خاصة أن المنطقة تضم مساكن وفنادق جيدة ، ارتفعت في الفضاء خلال النهضة العمرانية الحديثة . هذه هي جازان اليوم تنبض بالحياة وتتطلع نحو مستقبل مشرق مع اطلالة كل صباح □

مفهوم الأمة في دولة الإسلام

بقلم: د. محمد عمارة - مصر

في الحضارة الغربية ، شاع وساد مصطلح « الأمة » في المرحلة التاريخية التي تبلورت فيها قوميات تلك الحضارة ، عندما نشأت على أنقاض الرابطة اللاهوتية المسيحية الجامعة .. فكان الاستقلال ، وكان الانسلاخ هو طابع المرحلة .. ثم كان الصراع الذي تولد من تناقضات المصالح الرأسمالية ، وكان عاملا مهماً في تأجيج العصبيات القومية بين أمم وشعوب تلك الحضارة ، فكان البحث ، في اطار الفكر القومي الغربي ، عن الفواصل وعوامل التمايز بين الأمم والقوميات سمة بارزة من سمات ذلك الفكر في ذلك التاريخ ، فرأينا ـ لذلك ـ الضبط والتحديد للسمات والشروط الجامعة المانعة في تعريف الأمة ، اذكاء لروح التميز والخصوصية القومية ، وابرازاً « للمغايرة » ، وشحناً للوجدان القومي ، كي يدفع كل أمة من أمم تلك الحضارة الى الصراع والغلبة في حلبة التنافس ـ السلمي والمسلح ـ على المصالح والثروات والأقاليم ، داخل أوربا أولا ، وخارجها بعد ذلك . ان في العالم القديم أو الجديد .. طلباً لمصادر الغنى والثراء ، وبحثاً عن الأيدي العاملة الرخيصة ، وتحقيقاً للهيمنة الحضارية والاحتواء الاستعماري ..

تلك كانت ملابسات الصياغة والتحديد لمضمون مصطلح « الأمة » في الحضارة الغربية ...

ولكن ملابسات صياغة مضمون هذا المصطلح في حضارتنا العربية الاسلامية كانت مغايرة تمام المغايرة لتلك الملابسات الغربية ، بل وعلى النقيض منها ..

فالطور العربي الاسلامي لحضارتنا ، الذي تبلور على أرض أمتنا بعد الاسلام ، والذي تعيشه هذه الأمة ، كامتداد متطور لمواريثها الحضارية والفكرية التي سبقت ظهور الاسلام .. لم يكن طور انسلاخ عن رباط أشمل ، ولا استقلال عن كيان أكبر ، ولا بحث عن العوامل المميزة والفواصل والحواجز .. وانما كان على العكس من ذلك ، طور جمع وتأليف للفكر الحي المتوقد الذي جاء به الاسلام مع المواريث الفكرية والحضارية التي وجدها العرب المسلمون في البلاد التي دخلت في عالم الاسلام .. وللجماعة العربية المسلمة التي انطلقت من شبه الجزيرة مع الشعوب التي توحدت في اطار الدولة العربية الاسلامية الجامعة .. فلم يكن هم هذه الحضارة ـ ومن ثم لغتها ـ البحث عن ما يميز ويحدد ويفصل ، طلباً للاستقلال القومي ، وانما كان همها هو البحث عن عوامل التأليف لأمة أكبر وجماعة أشمل وحضارة أوسع .. ولذلك وقفت هذه الحضارة ـ ولغتها ـ بمضمون ومفهوم « الأمة » عند مضمون الرباط الجامع للجماعة ، أياً اكان هذا الرباط ، وذلك حتى يظل الباب مفتوحاً للتأليف والاستيعاب ، وحتى تمتد مساحة تأثير « النواة الاسلامية » فتشمل دائرة حضارتها كل الجماعات التي تدخل دائرة حضارة الاسلام حتى ولو لم تدخل في دين الاسلام .. ولقد دعم من هذا

التوجه عالمية الرسالة الاسلامية ، وأممية العقيدة في الدين الاسلامي .

وأيضاً كونها الرسالة الخاتمة ، التي جاءت لتستوعب ميراث الماضي ـ بالاحياء والتجديد ـ ولتصوغ منه ـ بمعايير الاسلام ـ حضارة مستقبلية ، ذات نزوع عالمي ، لا تنكر التمايزات بين الجماعات البشرية ، ولا تحاربها ، ولكنها تهذب شذوذها ، لتوظف التعددية القومية في بلورة وانماء وتطوير حضارة ذات نزوع عالمي ... لهذا كان وقوف هذه الأمة عند الحد الأدنى من الروابط في مفهوم الأمة ومضمونها ، طلباً للحركة ، ونزوعاً للامتداد ، وتوجهاً للتأليف ، ورفضاً لعصبية الانغلاق وتعصب الاستعلاء على غيرها من الجماعات والأمم والحضارات ... لقد كان توجهها للامتداد ، واتفاقها على أن « تحققها » انما هو مهمة دائمة ومستمرة ، لا بالمسخ والنسخ للمواريث والقسمات الحضارية الأخرى ـ كما حاولت وتحاول الحضارة الغربية مع غيرها من الحضارات ـ وانما بالاحياء والتجديد والاستيعاب لما هو قابل وصالح للاحياء والتجديد من المواريث الفكرية والحضارية .

إنه منطلق متميز .. وتوجه متميز ، أثمر هذا التميز لمفهوم الأمة في حضارتنا العربية الاسلامية عنه في غيرها .. وعنه في الحضارة الغربية على وجه الخصوص ..

ففي قريش ، بمكة ، نزل الوحي على محمد بن عبدالله ، ﷺ ، برسالة الاسلام .. فكانت « للتوحيد الديني » الاسلامي ـ الذي بلغ الذروة في التنزيه والتجريد ـ آثاره العظمى في توحيد هوية الجماعة العربية ، التي كانت الوثنية المتعددة تجسد وترمز الى تشرذمها وتمزقها القبلي في الجاهلية .. وذلك دون أن تعنى هذه « الجامعة العربية القومية » سيادة قريش ، ولا تجاهل التمايزات القبلية او القفز على واقعها .. وانما كانت هذه الظاهرة التوحيدية الوليدة « تأليفاً » للقبائل المتميزة ، ووحدة لا تنكر التعددية .. حتى لقد عدت من معجزات الاسلام التي تحققت في الواقع الاسلامي الجديد ﴿ **وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ، إنه عزيز حكيم** ﴾ (الأنفال / ٦٣) .

ولم يقف هذا الوليد الحضاري بنطاق الأمة ومفهومها عند حدود « القبائل العربية » ، فلقد كانت مرحلة تجاوزها التأثير التوحيدي ، الذي بدأ من قريش ، مستعيناً بها على انجاز أكبر في دائرة أوسع ، هي دائرة وحدة « القبائل » و « الشعوب » .. فكما أنجز الاسلام وحدة القبائل ، دونما انكار لتمايزها ، توجه الى انجاز وحدة « القبائل » و « الشعوب » ، بمعيار وفي اطار « التعارف » ، الذي لا يلغي التمايز ، ولا يقفز على الخصوصيات ، وان أتاح الفرص وخلق الأطر للتفاعل والتوحيد .. فمع التعددية تكون وحدة الأمة الطامحة الى الامتداد الطوعي ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير** ﴾ (الحجرات / ١٣) .

فالاتجاه الى الأمة العالمية ، لا ينكر أن التعددية هي سنة من سنن الله في الكون والخليقة ﴿ **ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، إن في ذلك لآيات للعالمين** ﴾ (الروم / ٢٢) .

انها أمة « دائمة التحقق » .. بل أن ديمومة هذا التحقق ـ عمقاً واتساعاً ـ هو معيار حيويتها ونهوضها برسالتها العالمية والخالدة التي أرادها الله .

وقد وازنت هذه الأمة ، وهي تحقق امتدادها وتبلور حضارتها بين « الخاص » و « العام » .. فكما أنجزت « وحدة » القبائل ، دون الغاء للقبيلة ، وانما بجعلها لبنة في بناء الأمة الجديد ـ بعد أن كانت كياناً مستقلا ومستعصياً على الترويض ـ وجدناها تقيم من خلال « التعارف » الذي هو التفاعل الطوعي ـ رباطاً جامعاً بين « القبائل » و « الشعوب » ، حتى لقد احتضن محيطها الجامع « الجزر القومية » ، فجمعها جميعاً بخيوط الحضارة الاسلامية ، دون أن ينكر عليها التمايز القومي المبرأ من العصبية العرقية وضيق الأفق الجنسي .. فعرف مفهوم الأمة ، في فكرنا الحضاري ، وفي تجربتنا التاريخية وميراثنا الاجتماعي الدوائر التي تبدأ من « الفرد » الى « الأسرة » أو القبيلة والعشيرة الى « الشعب » ، الى « الأمة » ـ بالمعنى القومي ـ الى « الجامعة الاسلامية » .. مع السعي الحثيث الى تعميق الرباط الجامع .. والى مد نطاقه الى أفق جديد .. بل لقد مدت الدائرة الاسلامية مع الدائرة الانسانية الخيوط والعلائق والأسباب .

لقد كان « الاسلام » ـ الدين ـ وكانت « الجماعة العربية الاسلامية » ـ كأمة ـ وكانت « الحضارة العربية الاسلامية » كابداع تزامل في صنعه الوحي الديني وعلومه مع المواريث الفكرية والحضارية لشعوب البلاد التي دخلت عالم الاسلام ـ وكانت « الدولة » ـ كأداة للدين والحضارة ـ .. كان جميع ذلك ، في مسيرتنا الحضارية وتجربتنا التاريخية والاجتماعية أشبه ما يكون بالدائرة الدائمة الاتساع ، حركها ذلك المصطفى محمد بن عبدالله ، ﷺ ، منذ أن أتاه وحي ربه قائلا : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علّم بالقلم . علّم الانسان مالم يعلم** ﴾ (العلق / ١ـ٥) .

ففي « الدين » بدأ الرسول ، ﷺ ، فجعل « أمة الدعوة » الأقربين من قومه وعشيرته : ﴿ **وأنذر عشيرتك**

الأقربين ﴾ (الشعراء / ٢١٤) ثم عمم الدعوة على نحو جعل نطاق « أمة الدعوة » كل القوم والعشيرة ـ وهم « الجماعة الذين تربط بعضهم ببعض روابط دم أو نسب أو اجتماع »[١]، وحدَّث هذه الأمة عن خصوصيتها القومية التي تميزها ، بالمجد وبالمسؤولية ـ معاً ـ في اطار هذه الدعوة العالمية ، فقال لها عن القرآن الكريم ما أوحى به الله ﴿ **فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم . وأنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون** ﴾ (الزخرف / ٤٣ ، ٤٤) .. وفي ذات الوقت كان حديثه القرآني عن عالمية الدعوة .. فهو رسول الله الى العالمين ، ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ (الأنبياء / ١٠٧) .. ﴿ **تبارك الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا** ﴾ (الفرقان / ١) .. وقرآنه الكريم موجه الى العالمين ﴿ **قل لا أسألكم عيه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين** ﴾ (الأنعام / ٩٠) . ﴿ **وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين** ﴾ (يوسف / ١٠٤) .. ﴿ **وما هو بقول شيطان رجيم ، فأين تذهبون . إن هو إلا ذكر للعالمين** ﴾ (التكوير / ٢٥ـ٢٧) .. وفي الحديث الشريف يتحدث الرسول ، ﷺ ، عن اختصاص رسالته بالعالمية .. فيقول : « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي : كان النبي يبعث الى قومه خاصة ، وبعثت الى كل أحمر وأسود . وأحلّت إلي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي . وجعلت لي الأرض طيبة طهوراً ومسجداً ، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان . ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر . وأعطيت الشفاعة »[٢].

فشرف العرب في الاسلام ، الذي تمثل في اصطفائهم ـ كجماعة ـ أمة ـ لحمل رسالته الى العالمين .. يزامل عالمية الدعوة ، ولا يحتكرها .. ان هذا الاتساق مع المفهوم العربي الاسلامي المتميز لمصطلح الأمة ونطاقها لا تعرف آفاقه الحدود ! .

وفي « الدولة » .. كانت البداية « عربية » ـ بالمعيار القومي العربي ـ .. ثم انداحت دائرة الدولة وبنية تكوينها لتستشرف « العالمية » ، التي صنعت ثوبها من نسيج سداه « العروبة الحضارية » ولحمته « الاسلام الحضاري » .. صانعة ذلك المزيج الحضاري الجديد والفريد .

لقد تأسست دولة المدينة ، التي أقامها المسلمون الأوائل تحت قيادة النبي ، وفق معيار « العروبة الحضارية » .. ووجدنا « دستورها » ـ الذي اشتهر في التاريخ بـ « الصحيفة » و بـ « الكتاب » يعدد « اللبنات » التي كونت بناء الرعية في هذه الدولة ، فاذا هي جميعاً « قبائل عربية » .. وفي هذا « الدستور » وجدنا التمييز بين « أمة الدين » و « أمة السياسة » ، كما وجدنا الربط بينهما .. فالوحدة قائمة على التمايز ... القبائل تتوحد في الأمة .. والعرب المؤمنون من المهاجرين والأنصار هم « أمة الدين » وهم مع القطاعات العربية المقهورة من قبائل المدينة يكونون « أمة واحدة » .. أمة السياسة والقومية .. فالمسلمون « نواة »، منها تبدأ دائرة الدولة ، لتنداح شاملة العرب المتهودين ، استشرافاً لدائرة أوسع .. دائرة الشعوب الأخرى والقوميات الأخرى .. وعن هذه الحقيقة حول مفهوم الأمة في الدولة العربية الاسلامية الأولى يقول « دستور » دولة المدينة : « هذا كتاب من محمد النبي ، ﷺ ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش و « أهل » يثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم . انهم أمة واحدة من دون الناس .. وانه من تبعنا من يهود فان له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم .. وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين . وان يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم .. وان ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف ، وان ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف ... إلا من ظلم وأثم فانه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته ... وان على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم ... وأن بينهم النصر على من دهم يثرب . واذا دعوا الى صلح يصالحونه ويلبسونه فانهم يصالحونه ويلبسونه ، وانهم اذا دعوا الى مثل ذلك ، فانه لهم على المؤمنين الا من حارب في الدين . على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم . وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة .. »[٣].

فبعد أن عدد الدستور ـ وهو يحصر لبنات الأمة والرعية السياسية للدولة ـ القبائل العربية التي آمنت وأسلمت ـ من المهاجرين والأنصار ـ ومن لحق بهم وجاهد معهم .. ذكر أنهم أمة الدين ـ « أمة واحدة من دون الناس » بعد ذلك شرع فعدد القطاعات المتهودة من قبائل المدينة العربية .. أي اليهود العرب ـ الأميون ـ لا العبرانيون ﴿ **ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا**

١ ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم ، وضع : مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

٢ ـ رواه البخاري ومسلم والترمذي والدارمي والامام أحمد .

٣ ـ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ص ١٥ـ٢١ ، جمع وتحقيق : د. محمد حميد الله ، طبعة القاهرة ، ١٩٥٦م .

يظنون ﴾ (البقرة / ٧٨) وجعل لهؤلاء العرب المتهودين - مع بطانتهم ومواليهم - كامل حقوق وواجبات المواطنة في دولة المدينة ، مقرراً انهم « أمة مع المؤمنين » .. فالأمة هنا - الجماعة - ومنذ هذا التاريخ المبكر لم تقف عند « أمة الدين » ، وإنما تجاوزتها دون أن تسقطها .. لقد انداحت الدائرة ، دون أن تهمل المركز أو تتخلى عنه بأي حال من الأحوال .. فالمنطلق قائم وفاعل وقائد ، والاستشراف للآفاق الأوسع والأبعد دائم ، لأنها أمة الاستيعاب والاضافة ، وليست أمة الانسلاخ والحدود والتعصب والعدوان على الآخرين .

ولقد فهم البعض - بالخطأ أو بسوء القصد - ان الصراع الذي حدث بين دولة المدينة وبين اليهود العبرانيين ، سكان الواحات الزراعية من حولها ، الذي انتهى باجلائهم عن مواقعهم ، قد مثل تراجعاً اسلامياً عن هذا المفهوم المرن للأمة ، اذ عادت أمة للدين فقط ، ووقفت حدودها عند المؤمنين والمسلمين دون سواهم .. فقالوا : « .. ان الصبغة السياسية الغالبة في هذه الأمة الجديدة كانت مؤقتة ، فلم يكد محمد النبي ، ﷺ ، يحس أن مركزه قد توطد في المدينة ، ويرى انتصاره في حروبه مع كفار مكة ، حتى استطاع أن يخرج من جماعته السياسية الدينية أهل المدينة (خصوصاً اليهود) الذين لم يعتنقوا الدين الذي جاء به ، وبمرور الزمن صارت أمته تتألف من المسلمين وحدهم ، وصار يعتبر المسلمين أمة ، ويؤكد صفاتهم الخلقية والدينية ، ويعتبرهم غير أهل الكتاب الذين كان مخالفاً لهم .. » .[١]

وَوَجه الخطأ في هذا الفهم هو الخلط بين « اليهود والعرب » الذي عدد دستور المدينة قبائلهم ، وكلها قبائل عربية صريحة النسب العربي ،[٢] وبين القبائل اليهودية العبرانية ، التي لم يأت لها ذكر في هذا الدستور .. فالأولون كانوا عرباً ، كوّنوا مع العرب المؤمنين دولة عربية قومية ، أمتها - جماعتها - عربية متعددة الأديان .. والآخرون - من أمثال بني النضير وبني قينقاع وبني قريظة لم يرد لهم ذكر في هذا الدستور - كانوا عبرانيين ، قام بينهم وبين دولة المدينة حلف - يختلف عن علاقة المواطنة - فلما نقضوه قاتلهم النبي ، وانتهى الصراع معهم بالاجلاء .. أما القطاعات العربية المتهودة ، التي كانت جزءاً أصيلا من « أمة السياسة » ، فلقد اعتنقوا الاسلام ، ودخلوا من ثم في أمة الدين والسياسة معاً .

ثم ، ان معيار « العروبة » الذي حكم اطار الأمة ومفهومها ، كان هو الآخر معياراً مرناً ، ومستقبلياً ، وسبيلا الى التوسع في الاطار والاستيعاب لأقوام آخرين .. فقبل الاسلام كانت المعايير العرقية والقبلية هي السائدة في تحديد أفق العروبة ومفهومها .. فجاء الاسلام ليرفضها .. وعنها قال الرسول ، ﷺ : « دعوها فانها منتنة ! »[٣] .. ومضى يعلم أصحابه أن حب الانسان لقومه مطلوب ، لكن العصبية الظالمة هي المرفوضة .. وعندما سأله الصحابي واثلة بن الأسقع : « يا رسول الله ، أمن العصبية أن يحب الرجل قومه ؟... (أجابه) : لا ، ولكن من العصبية أن ينصر الرجل قومه على الظلم » .[٤]

وبدلا من هذه العصبية الجاهلية ، وبديلا عن الاطار العرقي والقبلي للعروبة الجاهلية ، أرسى الاسلام للعروبة مفهوماً حضارياً ، وحدد لأمتها معياراً ثقافياً .. فخطب النبي في الناس ، عندما بلغه أن منهم من ينكر على الذين لم ينحدروا من أصلاب عربية - مثل بلال الحبشي ، وصهيب الرومي ، وسلمان الفارسي - رغم بلوغهم في الاستعراب درجة الفقه للقرآن المعجز والوعي بأسراره البلاغية ، ورغم أنهم قد محضوا ولاءهم للعروبة ، وأخلصوا انتماءهم لمجتمعها الاسلامي - عندما أنكر البعض عروبة الذين استعربوا حضارياً .. غضب الرسول ، وخطب الناس فقال : « أيها الناس ... ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وانما هي اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربي .. »[٥].. فمنذ ذلك التاريخ ، ووفقاً لهذا المعيار الحضاري والثقافي « للعروبة » اتسعت دائرة الأمة العربية والجماعة العربية ، لتضم - على قدم المساواة - كل الذين تعربوا بالفكر والحضارة والانتماء والولاء ، مع الذين انحدروا من أصلاب عربية صريحة .. فكما انفتح معيار الأمة ومفهومها ليضم العرب من غير المسلمين ، انفتح ، كذلك ، ليضم عرب الحضارة والثقافة ، من ذوي الأصول العرقية غير العربية ..

وَالعمالة لهذا المعيار الحضاري الذي يفتح أبواب الأمة ويوسع دائرة الجماعة ، نهضت الدولة بتنظيم اجتماعي دمجت به الموالي - أرقاء الأمس الذين حررهم الاسلام - في القبائل التي كانوا فيها أرقاء .. فالقبيلة كانت - كالأسرة - اللبنة الأولى في كيان الأمة .. فبعد أن كانت حدودها مقصورة على صرحاء النسب العربي ، غدت تضم الموالي أيضاً .. أي أن دائرة القبيلة ومعيارها لم يعد ، هو الآخر ، عرقياً بحتاً ! .. ولهذا التنظيم الاجتماعي الجديد سنّ

---

١ - دائرة المعارف الاسلامية ، مادة « أمة » تحرير : ر . باريه R. Paret

٢ - معجم القبائل العربية القديمة والحديثة ، لعمر كحالة ، طبعة دمشق ١٩٦٨م .

٣ - رواه البخاري والترمذي .

٤ - رواه ابن ماجه والامام أحمد .

٥ - تهذيب تاريخ ابن عساكر ، ج ٢ ص ١٩٨ . طبعة دمشق .

الرسول القوانين ، في صورة أحاديث من مثل : « مولى القوم منهم »[١] و « الولاء لحمة كلحمة النسب »[٢] فلم تعد أرحام الولادة النسبية هي أرحام الجنس والعرق وحدها ، وإنما غدت العروبة الحضارية رحماً تولد منه الأمة والجماعة وفقاً لهذا المعيار الحضاري الجديد .

وبعد عصر الرسول .. انتقلت الدولة باطار الأمة ومفهومها ـ وفقاً لمنهاجه الاسلامي ـ الى أفق جديد .. فالمد الذي بدأ من قريش ، فألف بين القبائل ، على اختلاف دينها ، ودمج فيها كل من استعرب ، على اختلاف أصولهم العرقية .. امتد بالفتوحات ، الى ما هو أبعد من القبائل ، عندما ضمت الدولة « الشعوب » من أهل العراق وفارس والشام ومصر وغيرها من البلاد .. فبدأت مرحلة جديدة ونطاق جديد في مفهوم الأمة ، اتخذت الدولة له المعيار القرآني ـ معيار « التعارف » الذي يعنى التفاعل القائم في اطار الوحدة ، التي لا تنكر ولا تتجاهل التمايزات ..

وعندما نجم قرن الشعوبية ، التي تحقر كل ما هو عربي ، لتصل بالعداء الظاهر للعروبة الى هدف مستور هو الكيد للاسلام .. وعندما استفزت الشعوبية واستنفرت العصبية القبلية العربية ، على عهد الدولة الأموية .. وجدنا عقلاء الأمة ومفكريها ينهضون لاحياء النهج الاسلامي التأليفي ، فيكتبون ـ بل ويفردون المؤلفات ـ لتذكير الناس بالمعيار الحضاري لمفهوم الأمة ، والأفق الفكري والثقافي غير المحدد لاطار الجماعة .. وكان الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (١٦٣ـ٢٥٥هـ / ٧٨٠ـ٨٦٩م) في مقدمة الذين أبدعوا في هذا الميدان ، فوجدناه يفرد لهذا الغرض بعض كتبه ، وفي مقدمة أحدها يعلن عن هذه المهمة فيقول : « ... وكتابنا هذا انما تكلفناه لنؤلف بين قلوبهم ان كانت مختلفة ، ولنزيد الألفة ان كانت مؤتلفة ، ولنخبر عن اتفاق أسبابهم لتجتمع كلمتهم ، ولتسلم صدورهم ، وليعرف من كان لا يعرف منهم موضع التفاوت في النسب ، وكم مقدار الخلاف في الحسب ، فلا يغير بعضهم مغير ، ولا يفسده عدو بأباطيل مموهة ، وشبهات مزورة ، فان المنافق العليم ، والعدو ذا الكيد العظيم ، قد يصور لهم الباطل في صورة الحق ، ويلبس الاضاعة في ثياب الحزم » .[٣]

ثم يمضي الجاحظ فيذكر أطراف النزاع بالمعيار الحضاري للعروبة والمفهوم المتفتح وغير العرقي أو المغلق للأمة والجماعة ، وكيف أن اختلاف النسب بين القحطانيين والعدنانيين لم يحل دون اندماجهم في الأمة كل الاندماج عندما وحدتهم الحضارة والثقافة واللغة والشمائل ، على حين أن وحدة النسب بين العدنانيين ـ أبناء اسماعيل ـ أبناء أخيه اسحاق ـ لم تجعلهما أمة واحدة ، لاختلاف الفكر والثقافة واللغة والشمائل .. ففي الفكر الاسلامي العالمي ، المفتوح لاستيعاب الموروث القديم والابداع الجديد ، تتمثل رحم جديدة ستظل دائمة الولادة لآفاق جديدة تتسع بها دائرة الأمة ويرحب بها مفهومها كلما امتدت بأهلها البصائر والأبصار الى الجديد من الآفاق .. يمضي الجاحظ ليتحدث عن هذه الحقائق في مفهوم الأمة ، فيقول : « أن العرب قد جعلت اسماعيل ـ وهو ابن أعجميين (ابراهيم وهاجر) عربياً ، لأن الله فتق لهاته[٤] بالعربية المبينة ، ثم فطره على الفصاحة ، وسلخ طباعه من طباع العجم .. وسواه تلك التسوية ، وصاغه تلك الصياغة ، ثم حباه من طبائعهم ومنحه من أخلاقهم وشمائلهم ، وطبعه من كرمهم وأنفتهم وهممهم على أكرمها .. فكان أحق بذلك النسب ، وأولى بشرف ذلك الحسب .. وان العرب لما كانت واحدة ، فاستووا في التربية ، وفي اللغة ، والشمائل ، والهمة ، وفي الأنف والحمية ، وفي الأخلاق والسجية ، فسبكوا سبكاً واحداً ، وكان القالب واحداً ، تشابهت الأجزاء وتناسبت الأخلاط . وحين صار ذلك أشد تشابهاً في باب الأعم والأخص ، وفي باب الوفاق والمباينة من بعض ذوي الأرحام ، جرى عليهم حكم الاتفاق في الحسب ، وصارت هذه الاسباب ولادة أخرى ، حتى تناكحوا عليها وتصاهروا من أجلها ، وامتنعت عدنان قاطبة من مناكحة بني اسحاق ، وهو أخو اسماعيل ، وجادوا بذلك ، في جميع الدهر ، لبني قحطان .. ان هذه المعاني قد قامت عندهم مقام الولادة والأرحام الماسة .. » .[٥]

هكذا رحُب مفهوم الأمة واتسع أفق معيارها ، وانفتح باب استيعابها للقديم والجديد ، فانداحت دائرتها في « الدين » وفي « الدولة » ، مؤكدة ، دائماً وأبداً ، أهليتها لتكون « الأمة الأممية » ، التي تستوعب المواريث الحضارية القديمة ، بالأحياء والتجديد والتمثل ، لتهيمن عليها بتحويلها الى غذاء ومصدر قوة لهويتها المتميزة ، ولتحتضن الجماعات التي تدخل الى دائرة الاسلام ـ الدين أو الحضارة ـ فتمد بهذا الاحتضان دائرة الأمة ومفهومها كلما تيسر هذا الاحتضان والاستيعاب □

١ ـ رواه البخاري .

٢ ـ رواه أبو داود والدارمي .

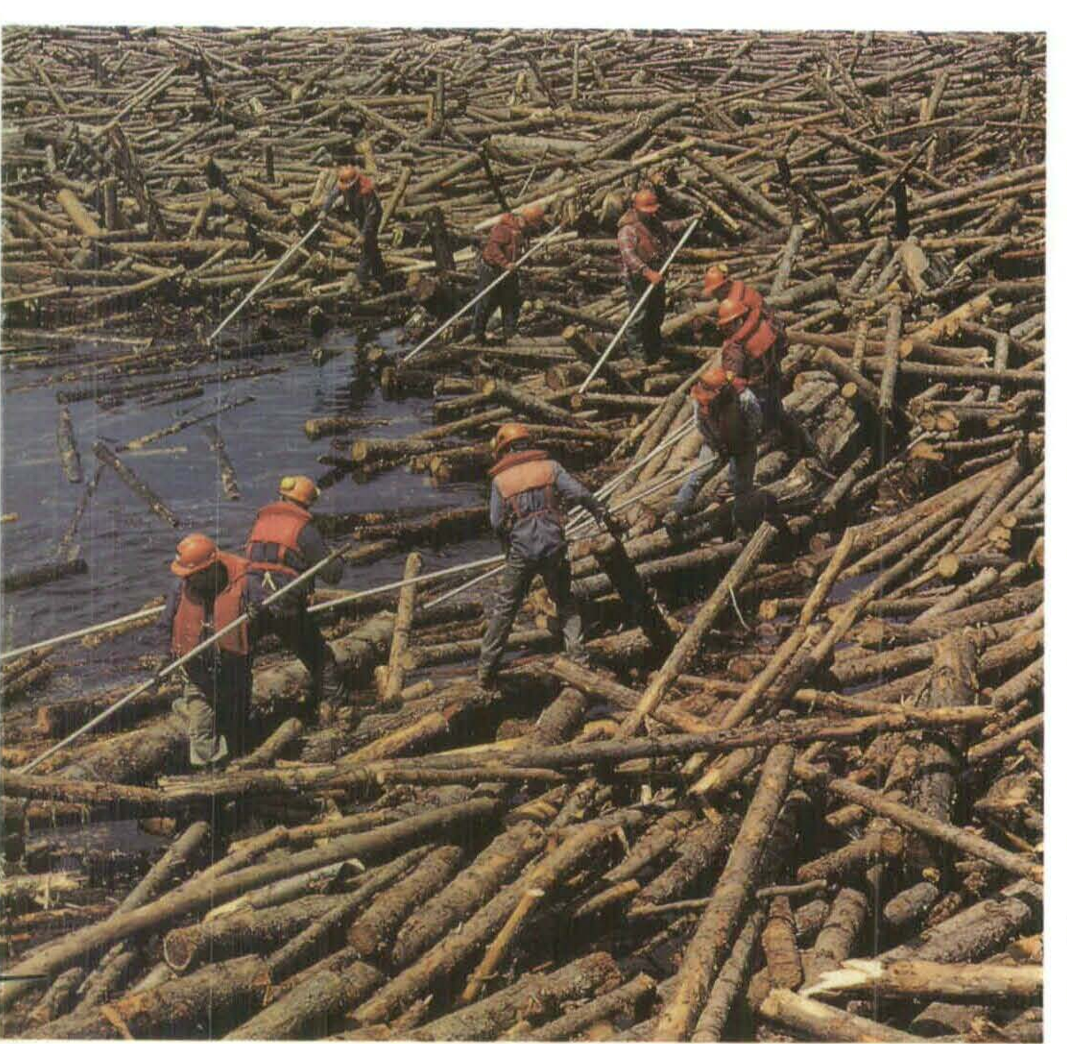
٣ ـ رسائل الجاحظ ، ج ١ ص ٢٩ ، تحقيق : الأستاذ عبد السلام هارون . طبعة القاهرة ١٩٦٤م .

٤ ـ اللهاة : جزء من أقصى سقف الفم ، مشرف على الحلق .

٥ ـ رسائل الجاحظ ، ج ١ ص ٢٩ـ٣١ ، ١١ـ١٤ .

حماية البيئة من أجل التنوّع البيولوجي

بقلم: د. سعيد محمد الحفار - قطر



من المعروف أن الابقاء على التنوع البيولوجي (التنوع الوراثي) هو أحد الأهداف الأربعة لسياسة الصيانة العالمية للبيئة . تلك الأهداف التي تتمثل الى جانب حماية التنوع البيولوجي بالمحافظة على العمليات البيئية الجوهرية . والمحافظة على وسائل دعم الحياة ، وضمان الاستخدام الدائم للأنواع والنظم البيئية . ضمن مشاركة فعالة لجمهور واع واسع الاطلاع ، مع الالمام بالاتجاهات والسلوكيات ، والقيم الأخلاقية ، والاجتماعية ، والوسائل المتبعة في صنع القرارات السياسية في المجتمع . (انظر كتابنا نحو بيئة افضل).

ويبدو أن العقد الأخير من القرن العشرين سيكون حرجاً بشكل خاص ، عند تشخيص فداحة الانقراض الذي سبّبه الانسان ، فلو اتضح أن قطع الغابات كما هو متوقع من قبل أحسن التقديرات التي أشارت الى أن حوالي أحد عشر مليون هكتار من الغابات تختفي منها الأشجار كل سنة في ستة وسبعين قطراً استوائياً ، وأن مالا يقل عن واحد وثلاثين مليون هكتار من الغابات أي ما يعادل مساحة المانيا الغربية قد أصابها الضرر في الدول الصناعية بسبب تلوث الهواء والأمطار الحاملة للحموضة . (انظر State of the World 1987) .

واذا استمر الافتقار البيولوجي دون وقاية . واذا تضاعف عدد سكان الأرض ، فان مجالات الاختيار ستكون مغلقة . وقد كتب « نورمان ميرز » المستشار في مجال البيئة قائلا : « لم يسبق أن واجه أي جيل من قبل مشاهد الانقراض تأخذ مجراها خلال حياته ، فمثل هذه المشاكل الحالية لم يسبق وجودها ، ولن يواجه مثلها أي جيل في المستقبل،واذا لم يستطع الجيل الحاضر أن يمسك بزمام الأمور ، فان الخسارة تكون قد وقعت ، ولن تكون هناك فرصة أخرى » (انظر Meyers: Tecking Mass Extinction) .

ويتطلب تفادي الانقراض الجماعي ، العزوف بحزم عن السياسات المترسخة ، والعادات الخاطئة في استخدام الأرض ، بيد أن التغيرات الضرورية لابد أن تأتي في نطاق المؤسسات الموجودة ، التي لابد لها وللأجهزة الدولية والمنظمات الأخرى من أن تتحمل مسؤولياتها في عملية الارتقاء هذه . وطالما أن التحدي يأخذ أعنف أشكاله في العالم النامي ، فان معونات التطوير المقدمة من الدول



الصناعية لتلك الدول تصبح من أهم الوسائل لوضع برنامج وقاية تنوع الطبيعة . ووقاية التراث الجيني والتنوع الوراثي بالمعنى الصحيح .

ففي الولايات المتحدة جاءت مبادرة وقاية التنوع البيولوجي على المستوى الدولي كجزء من السياسة الخارجية . ووسعت سلسلة من التعديلات طرأت على برنامج المساعدة الخارجية سلطة وكالة التنمية الدولية في مجال صيانة التنوع البيولوجي مما أدى الى تضاءل حركة قطع الغابات الاستوائية في ستين دولة نامية عن طريق بعثات العون والترشيد التي أرسلتها وكالة التنمية الدولية .

وقد وضعت هذه الوكالة سياسة للمحافظة على التنوع البيولوجي عام ١٩٨٥م ، أمكن بفضلها اقتراح سبع وستين طريقة يمكن بها للهيئات المعنية في الدول أن توفق بين وقاية الطبيعة وحاجاتها الاقتصادية ، أما المبالغ المخصصة في وكالة التنمية الدولية لدعم برامج حماية الطبيعة وحماية التنوع البيولوجي فقد بلغت سبعة ملايين دولار عام ١٩٨٨م ، وهو دعم ضئيل اذا قيس بما تحتاجه الوقاية (لمزيد من التفصيل انظر OTA. Technologies to Maintain Biological Diversity) .

وقد اعترف البنك الدولي بالصلة بين التنوع البيولوجي ، والتنمية الاقتصادية ؛ اذ تبنى عام ١٩٨٦م للمرة الأولى سياسة جديدة تستهدف المحافظة على المناطق الطبيعية ، واشترط في البت في أية قروض أو مساعدات لمشروعات معينة أن تكون حماية المناطق الطبيعية قد أخذت بالاعتبار وفق سياسته البيئية . انظر Srah



Gates Fitzgerold: World Bank Pledges to Protect Wild Lands

فالبنك الدولي بعد عدم مبالاة طويلة بقضايا البيئة ، اعترف أخيراً بأن المناطق الطبيعية تواجه ضغوطاً قاسية ، وأن الأرض البرية بحالتها الطبيعية يمكن أن تساهم في التنمية الاقتصادية بشكل أفضل مما لو جرى تحويلها لأغراض أخرى . وترمي السياسة الجديدة لابطاء عملية الانقراض لمستويات أدنى بكثير مما هي عليه دون ابطاء سباق التنمية الاقتصادية ، وتعد تلك السياسة الاقتصادية الأولى التي تجد شرعيتها في قدرتها على التأثير على معدلات الانقراض . لمزيد من التفصيل ، انظر Goodland: A major New Opportunity

وتتطلب سياسة الأرض البرية (البراري) قيام مشروعات التنمية على الأرض التي جرى تحويلها ، أو الحط من قيمتها بعيداً عن الأرض البكر ، مما يفرض تركيز الاهتمام على الجهد الاقتصادي للأراضي المتروكة ، فاذا تطلب أحد المشروعات مساحة تزيد عن مائة هكتار من الأرض البكر ، فانه لابد من حماية مساحة مساوية من الوجهة البيولوجية والطبيعية ، بالنسبة للسياسة البيئية للبنك الدولي .

وفي مايو ١٩٨٧م أعلن رئيس البنك الدولي (باربر كوينبل) عن انشاء قسم للبيئة تكون مهمته « رسم وتوجيه السياسات التنموية على أعلى المستويات في البنك » حيث أكد مدير البنك أن « دعم التنمية في العالم يعتمد على ادارة الموارد لا استنزافها » . واعتبر سياسة الأرض البرية فرصة سانحة لانجاز ذلك ، وبشكل نشط ، وبذلك فقد عملت السياسة البيئية لوقاية التنوع البيولوجي على وضع شرط رئيسي يتمثل في تلافي كل مشروع زراعي يمكن أن يهدد التنوع الطبيعي ، تنفيذاً لسياسة البنك للتوفيق بين وقاية البيئة وبين التنمية لمزيد من المعلومات ، انظر :Barber B. Conable Annual Agricultural Lending by Devel. Banks 1987

ويبدو أن هنالك اتجاهاً عالمياً اليوم يقضي بأن تفتح فرص لوقاية البيئة الطبيعية بمعايير لم يسبق لها مثيل ، فمطالعة الاتفاقية البوليفية التي تقضي بخفض دين بوليفيا من ٦٥٠ ٠٠٠ ٠٠٠ دولار الى ١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ دولار مقابل تخصيص الحكومة البوليفية لحوالي ١,٦ مليون هكتار من الغابات وأراضي الأعشاب لتكون منطقة عازلة حول منطقة « بني » المحمية في حوض الأمازون ، تكشف المغزى الخاص لهذه الاتفاقية ؛ إذ أنها توحي الى أن بالامكان اعفاء بعض دول العالم الثالث من قسم من ديونها التي تزيد عن أربعة بلايين دولار مقابل المحافظة على البيئات الطبيعية في بيئاتها ، حيث أشارت مجلة Sciences في هذا الصدد الى أن الأفكار الذكية الرامية لتحويل الجزء الأخير من ديون العالم الثالث المتراكمة لتصبح جنيهات مقابل التحويل الأفضل للمحافظة على البيئة تنم عن اهتمام العالم بقضايا البيئة ، وبالحفاظ على التراث الجيني ، وبالابقاء على التنوع البيولوجي بالعالم .

كما بدأ الصندوق العالمي للأرض البرية برنامجاً أطلق عليه (الأرض البرية والحاجات الانسانية) يرمي لدعم مشروعات ريفية صغيرة تقام على وحدات بيئية لانتاج العلف

والحطب ، وتزود الجماعات المحلية بالماء النقي ، وتشمل هذه المشروعات جهوداً موجهة لتأمين قطع من الأرض لصغار الفلاحين في بعض دول أمريكا اللاتينية لوقف الضغط نحو إزالة الغابات المتبقية .

لمزيد من المعلومات ، انظر الى :L':S: World Wildlife Fund Linking Conservation and Development The Program in Wildlands and Human Need's of the World, 1986.

ويقوم أكثر من ثلاثين قطراً في العالم اليوم بتحضير سياسة شاملة لوقاية الطبيعة لتحديد الأولويات في المحافظة على البيئة ، ولتشجيع ادارة الموارد الطبيعية في خطط التنمية في كل قطر .

وتجيء هذه المبادرات الوطنية على نمط السياسة العالمية للحفاظ على البيئة التي وضعها عام ١٩٨٠م (الاتحاد الدولي لحماية الطبيعة والموارد الطبيعية) ، والتي أشرنا اليها في فاتحة هذا الموضوع .

كما أن الاتفاقية التجارية الدولية التي أخذت بالاعتبار هدفاً يرمي لوقاية الطبيعة ضمن استراتيجيتها الاقتصادية الجديدة التي وضعتها عام ١٩٨٥م ووافقت عليها الدول المنتجة والمستهلكة للأخشاب ، لتعكس بشكل لا مثيل له الاعتراف باشتداد الضغط على بيئة الغابات والخطر المحدق بانتاج الأخشاب وفق تقرير لأصدقاء الأرض . وتوجيه اللوم الى دولة كبرى كاليابان من حيث اتباعها لسياسة مفتوحة لاستيراد الأخشاب الاستوائية ، قد جعل اليابان تتبرع عام ١٩٨٧م بأكثر من مليون دولار للأبحاث واعادة التحريج وتحسين ادارة الغابات الاستوائية .

فالتغير الحادث في موقف اليابان وتقديمها لدعم اقتصادي لادارة الغابات يمكن أن يضيء تباشير المستقبل بالنسبة للغابات المهددة في آسيا الاستوائية .

أما عن دور حدائق الحيوان والنبات في الابقاء على التنوع البيولوجي : فاننا نشير تلميحاً الى أهمية القول بأن علماء الحياة يقدرون أن أكثر من ٦٠٠٠ نوع من الثدييات والزواحف والطيور التي تعيش في حدائق الحيوان والنبات يجب أن تربى منزلياً لتجنب انقراضها حال قطع أو تجزئة البيئات الطبيعية التي تعيش فيها .

ولذا فقد أصبحت حدائق الحيوان مثل « السفينة الألفية » التي تحوي حيوانات لم يعد هناك وجود لموطنها الطبيعي ، الا أن هذا الموضوع سيبقى كذلك حتى يستقر الطلب البشري على المحيط الحيوي .

تجد حدائق الحيوان نفسها منغمسة في تربية سلالات مجموعة متزايدة من الحيوانات المهددة ، فقد وضعت في نهاية السبعينات خطط لانقاذ الحيوانات ، ووزعت على حدائق الحيوان في شمالي أمريكا ، بغرض توفير برنامج مفصل يمكن الاهتداء به في خطط تربية الحيوان الرامية لتنويع سلالات الحيوانات الأسيرة (أي تلك التي تحيا في حدائق الحيوان) ، والتي بلغت نحو ٢٥٠٠ نوع من الثدييات والطيور يحتفظ بها في مائتين وثلاث وعشرين حديقة حيوان في أوربا وأمريكا الشمالية .

بيد أن قدرة حدائق الحيوان الاستيعابية محدودة بسبب معوق الميزانية ، مما يحد من طموحات تلك الحدائق في اقتناء طيور وثدييات وزواحف وبرمائيات لا يعتقد بقدرتها على الحياة في مواطنها البرية على المدى الطويل ، اذ لا يمكن لتلك الحدائق أن تحتوي أكثر من تسعمائة نوع فقط ، وذلك أقل من نصف عدد الأنواع المهددة والذي يبلغ الألفين ، هذا بالاضافة الى عجز الحدائق المذكورة عن القيام بعمل ما حيال مئات الآلاف من الحشرات واللافقاريات المهددة بالانقراض . (لمزيد من التفصيل ، انظر Conway cited in Rogerlewin: Damage to Tropical Forest, Why were these so Many kinds of Animals ''Science, Oct. 1986''

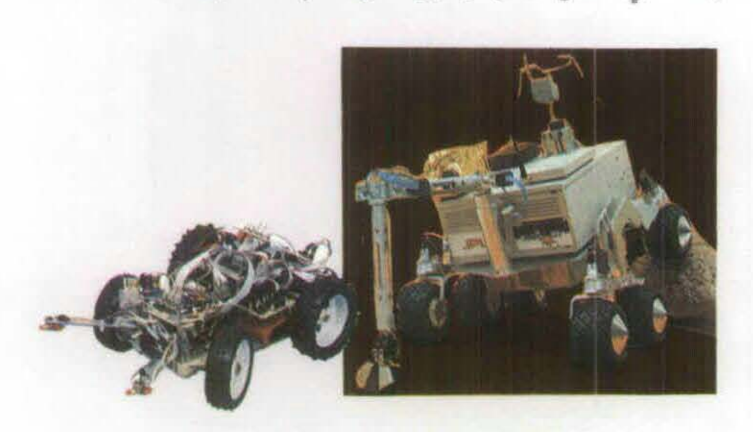
أما حدائق النبات : فبامكانها أن تؤدي دورها في الترميم البيئي (الايكولوجي) وذلك بإيواء النباتات المهددة ثم اعادتها لمواطنها الطبيعية على المدى البعيد . وتقوم حدائق النبات في الولايات المتحدة بتنسيق جهودها لحماية النباتات المهددة من خلال برنامج يديره وينفق عليه مركز وقاية النباتات في جامايكا ، إلا أن وقاية السلالات النباتية كلها من خلال حدائق النبات يعد هدفاً لا يمكن تحقيقه .

ويقول مكتب المساعدة التكنولوجية أن قيام حدائق النباتات في العالم بزراعة وتنمية ما بين ألفين وخمسمائة الى أربعة آلاف نوع من النباتات الزهرية يعد صحيحاً ، لكن استنبات العديد منها لبلوغ درجة التنوع الطبيعي لن يكون واقعياً ، وبالتالي فان حماية التنوع الطبيعي تكمن في المحافظة على تلك الأنواع في موطنها الأصلي .

قصارى القول : لابد للسياسات من تقدير المسؤولية ومناقشة التعايش البشري مع ملايين الأحياء التي تشاطرنا العيش على الأرض ووضع لبنة استراتيجية أساسية لتجنب الانقراض ، من خلال جهد عالمي يهدف الى الحفاظ على الطبيعة من خلال تجنب الانقراض الجماعي السائد في العصر الحديث □

مركبات ذاتية الحركة على سطح المريخ

بالاضافة الى سيارات « الروفر » ذات الحجم العادي التي تسير بدون سائق والمصممة لاستكشاف سطح المريخ في المستقبل القريب ، فقد ارتأى مهندسو وكالة الفضاء الأمريكية « ناسا » أن من المناسب استعمال مركبات صغيرة خفيفة الوزن وذاتية الحركة (روبوتات) لتأدية مهام وتجارب علمية محددة . وتبين هذه الصورة نوعين من هذه المركبات الخفيفة ، اذ لا يزيد وزن الروبوت الآلي المسمى (Rocky III) ، الذي يظهر على اليمين ، عن ٥٣ رطلا فقط ، وهو يشبه جهاز حاسوب شخصي مركب على اطارات كي يتنقل بيسر وسهولة فوق تضاريس وعرة ومتعرجة .ويظهر الى اليسار روبوت أصغر منه حجماً وأخف وزناً (١١ رطلا فقط) يطلق عليه اسم (Tooth) ، وقد ثبت بالتجربة أنه يعمل بكفاءة جيدة . ومن المقرر تحميل هاتين المركبتين كاميرات تلفزيونية صغيرة الحجم وأدوات استشعار دقيقة للغاية لاجراء تجارب على جو المريخ وتربته ، بالاضافة الى حمل أجهزة قياس سيزمية لتسجيل الاهتزازات هناك . ويعتقد الخبراء ان استعمال عربات خفيفة من هذا القبيل يمثل أقل الوسائل تكلفة في عمليات استكشاف سطح الكواكب الأخرى □



سيّارة سريعة من الألمنيوم

اعتمد مهندسو شركة جاكوار البريطانية تقنيات مطبقة في صناعة الطيران في تصميم هذه السيارة الانسيابية (XJ220) ، التي ستكون من أسرع السيارات في العالم . وسوف تحتوي هذه السيارة على محرك توربيني مزدوج سعته ٣,٥ لترات ذي ستة صمامات ، وهو قادر على توليد طاقة حركة تبلغ قوتها ٥٠٠ حصان . ومن المتوقع أن تصل سرعتها القصوى الى ٢١٢ ميلا في الساعة (٣٤٠كم / ساعة) تقريباً . والجدير بالذكر أن جسم هذه السيارة مصنوع من مادة الألمنيوم خفيفة الوزن ، ولكن من صنف شديد المتانة . وتنوي الشركة الصانعة انتاج ٣٥٠ سيارة كدفعة أولى من هذا الطراز ، وسيبدأ ذلك في العام الحالي ١٩٩٢م □



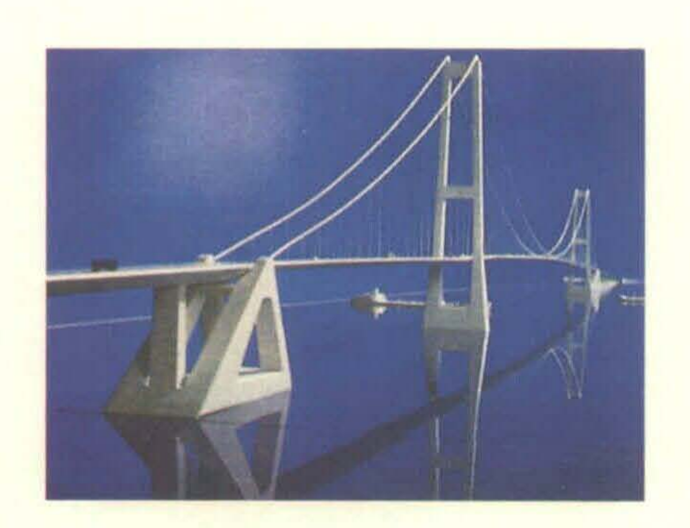
حزام هوائي لتخفيف آلام الظهر



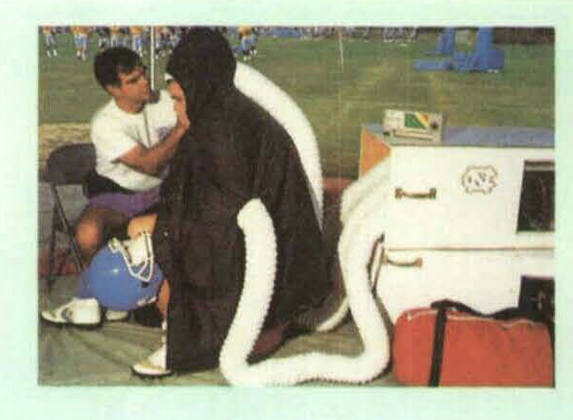
هذا حزام هوائي صنع خصيصاً لتخفيف ومنع آلام الظهر ، لا سيما تلك التي تؤثر على الجزء السفلي منه . ويتكون هذا الحزام من حجيرات هوائية صغيرة متجاورة تمتلىء بالهواء عن طريق منفاخ صغير ، كالمستعمل في أداة قياس الضغط . ولا يحد هذا الحزام من حركة من يرتديه بل يساعده على ممارسة نشاطات حرمته الآلام من الاستمتاع بها فترة طويلة كالمشي والجري والرياضات المتنوعة بما في ذلك الجلوس في مكتبه ساعات طويلة . وتؤمن حجيرات هذا الحزام راحة العضلات ومساعدتها على تأدية الحركات التي يتطلبها أي نشاط . وتجدر الاشارة الى أن الحزام مصنوع من مادة ناعمة الملمس ومسامية التركيب كي يظل الجسم تحته بارداً وجافاً ، وتوجد منه مقاسات مختلفة تناسب كل الأفراد □

أطول جسر معلّق في العالم

هذا رسم ايضاحي لأول جسر معلق في العالم يمتد لمسافة تزيد عن ميل واحد . وسيقام هذا الجسر في الدنمارك كجُزءٍ من طريق طوله ١١ ميلا يصل بين جزيرة زيلاند وبقية أرض الدولة . ويشمل الطريق مسارات تستخدمها السيارات بالاضافة الى خط سكة حديد للقطارات . ولكن سيقتصر عبور الجسر المعلق على السيارات فقط ، وسيقام من نقطة على الطريق نفق خاص بالقطارات . ويتميز هذا الجسر بعدم وجود نقاط اتصال ثابتة للعوارض الاستنادية عند طرفيه ، حيث ستعمل كراسي تحميل (Bearings) على منع الانحراف الجانبي بينما ستحد عازلات هيدروليكية مثبتة على أطراف العوارض من الحركة الأفقية للجسر . كما ستزود العوارض بأجهزة مانعة للرطوبة لمقاومة الصدأ . وتتولى تنفيذ هذا المشروع الهندسي شركتان واحدة أمريكية والأخرى ايطالية ، ومن المقرر انجاز العمل وافتتاح الجسر للحركة في سنة ١٩٩٧م □



جهاز تكييف هواء لتبريد اللاعبين



كثيراً ما يشعر اللاعبون بتزايد السخونة في أجسامهم وعضلاتهم نتيجة للانهماك الشديد في اللعب ، لا سيما في رياضة كرة القدم . ولمساعدة من تتفاقم حالته وتشتد حرارته على تخفيف ذلك والعودة الى الحالة الطبيعية بسرعة ، قام كبير مدربي فريق كرة القدم في جامعة نورث كارولينا الأمريكية بعمل مزاوجة بين جهاز تكييف هواء وثياب فضفاضة يرتديها اللاعب . وتتلخص هذه الطريقة الطريقة باستعمال جهاز تكييف أدخلت عليه بعض التعديلات بحيث يخرج الهواء البارد منه عبر ثلاثة أنابيب بلاستيكية واسعة . ويتصل الطرف الآخر لكل أنبوب في موضع ما من الثوب ، الذي يشمل غطاء للرأس . ويتدثر اللاعب الذي زادت حرارة جسمه وأنهكه التعب بهذا الثوب أو يجلس تحته لمدة خمس دقائق لينعم بالبرودة المنعشة ويسترد حيويته ونشاطه . وتجدر الاشارة الى أن جهاز التكييف مزود بعجلات لتحريكه بسهولة □

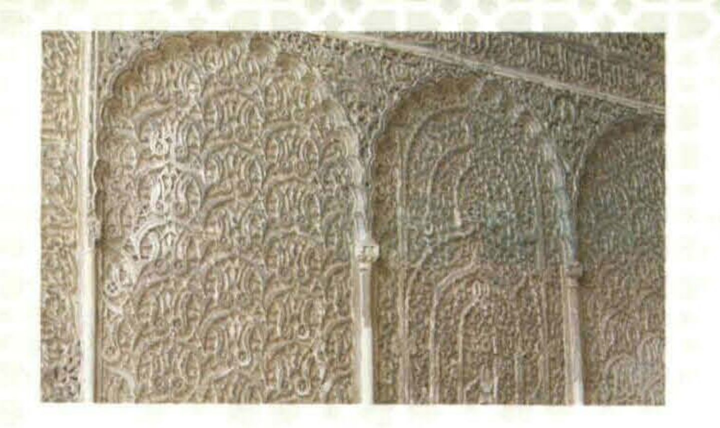


فاس عاصمة المغرب الثقافية

فاس هي العاصمة الدينية والثقافية للمغرب على مر العصور ، وهي أقدم المدن التاريخية الأربع التي لعبت دوراً حيوياً في تاريخ المغرب وشمال افريقيا . وكانت بالاضافة الى شقيقاتها (مكناس ومراكش والرباط) العواصم التاريخية التي انتظم في اطارها عقد الوطن المغربي عبر مراحل تطوره السياسي الحافل بالأحداث الجسام والتحولات الكبرى .

فاس من المدن القليلة التي لا تبوح بأسرارها دفعة واحدة ، بل تحتاج الى كثير من التأني والصبر لاكتشاف جميع مفاتنها وروائعها المبثوثة في مآثرها المعمارية التاريخية التي ما تزال تحافظ على شخصيتها كنموذج حي للمدينة الاسلامية المتكاملة اجتماعيا وعمرانياً واقتصادياً . فهي تمثل على صعيد المدن العربية والاسلامية أريجاً متميز العبير ، بالنظر الى الدور الذي لعبته في المجالين الافريقي والأوربي ، خاصة لكونها نقطة الانطلاق الكبرى للتحولات الحضارية والفكرية والسياسية ، التي عرفتها أوربا وافريقيا في العصور الوسطى .

ما زالت أبواب مدينة فاس التاريخية ، تؤدي أغراضها العملية في تسهيل تنقل آلاف الزوار يومياً من مختلف أنحاء المغرب والعالم .



بقلم: علي حسن المرهون - هيئة التحرير

تصوير: عبد الله الدبيس - أرامكو السعودية

سطور من التاريخ

يرتبط تاريخ انشاء مدينة فاس بادريس ابن عبدالله من ذرية علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، الذي جاء مهاجراً من المشرق عام ١٧٢هـ ، واستطاع إقناع قبائل البلاد بمنطقة زرهون بوليلي بالدخول في الاسلام ، ومبايعته على الطاعة . وبعد وفاته قرر ابنه إدريس الثاني سنة ١٩٠هـ تأسيس عاصمة دولته في سهل سايس الذي تكثر فيه الينابيع . وقد حدث أن تم العثور على « فأس » قديمة أثناء حفر أساسات البناء فعمد إدريس الى تسمية عاصمته بمدينة « فاس » .

وتقع هذه المدينة التي أصبح لها شأن كبير في تاريخ المغرب ، على ثلاث تلال ، تحيطها السهول الزراعية الخصبة ، ويشقها نهر فاس ، وقد اشتهرت المدينة المشيدة على الضفة اليمنى للنهر باسم « عدوة الأندلسيين » ، بينما أطلق على الضفة اليسرى من المدينة « عدوة القرويين » . وما زالت هاتان المنطقتان تحافظان على ملامحهما المعمارية الأصلية حتى وقتنا الحاضر . وقد عرفت فاس ازدهاراً كبيراً في عهد يحيى بن إدريس الذي أنشأ بها جامعة

تشهد أسواق وأزقة فاس القديمة يومياً طوفاناً بشرياً لا ينقطع من الوافدين لمشاهدة الآثار التاريخية ، وابتياع نفائس الصناعات الفاسية .

وجه من فاس يحمل سمات الماضي التليد ، لأقدم عاصمة تاريخية بالمغرب .

القرويين عام ٢٤٥هـ التي تعتبر أول الجامعات في العالم . وفي عهد زيرى بن عطية شرع في اقامة التحصينات الأولى لمدينة فاس التي تم توحيد شطريها على يد السلطان الكبير يوسف بن تاشفين ، مؤسس الدولة المرابطية ، حيث شهدت المدينة في عهده نهضة عمرانية استلهمت الفن المعماري الأندلسي وأشرف عليها الصنّاع المهرة الذين جلبهم السلطان من قرطبة الى فاس . وظهر أثر الفن الأندلسي في الفنادق والحمامات والسقايات ومعظم المباني الأثرية .

ورغم انتقال العاصمة السياسية الى مراكش في عهد الموحدين ، إلا أن فاس حظيت بكثير من العناية والاهتمام . ولما تولى المرينيون الحكم سنة ١٢٤٨م ، أصبحت فاس من جديد عاصمة الدولة المغربية ودخلت حقبة من الرقي والازدهار . تجلت في عدد من المآثر المعمارية ، ويرجع تاريخ بناء القصر الملكي الحالي بفاس الى ذلك العهد . كما بنيت حول جامعة القرويين مؤسسات مشهورة مثل مدرسة الصفارين ومدرسة العطارين ومدرسة المصباحية . وعرفت المدينة الكثير من الانجازات في عهد الدولة العلوية منها بناء المدرسة المحمدية وإثراء جامعة القرويين في عهد الملك محمد الخامس .

وما زالت فاس تحتل مكانة مرموقة على جميع المستويات الاقتصادية والفكرية والسياحية والحضارية ، حيث تمثل نقطة جذب رئيسة لكثير من النشاطات والأحداث السياسية والفكرية .

المدينة الاسلامية النموذجية

تعتبر فاس نموذجاً حياً للحضارة الاسلامية المتألقة في أبهى صورها وأشكالها في القرون الوسطى ، والتي سادت العالم بعلومها ومصنوعاتها وبروائعها المعمارية . فزائر هذه المدينة يرى حاضرة من حواضر الثقافة الاسلامية العربية ومعقلا من معاقل الفكر والثقافة الانسانية ، التي أينعت ثماراً وخيراً عميماً على الثقافات الأوربية المجاورة عبر البحر المتوسط شمالا ، وكانت مثال المدينة الاسلامية النموذجية ، التي يسعى الجميع لخطب ودها ، والتعرف على كنوزها . وقد بلغت هذه المدينة أوج مجدها في القرن الرابع عشر الميلادي ، حيث تحولت آنذاك الى منارة للعلم والثقافة يؤمها طلبة العلم من جميع الأمصار الاسلامية والأمم الأوربية ، وكانت نفائس مصنوعاتها مثار اعجاب القاصي والداني ، وتتكون مدينة فاس من المدينة القديمة التي يعود تأسيسها الى عهد إدريس ، والمدينة الجديدة التي شيدها المرينيون في القرن الثالث عشر الميلادي .

فاس «البالي»

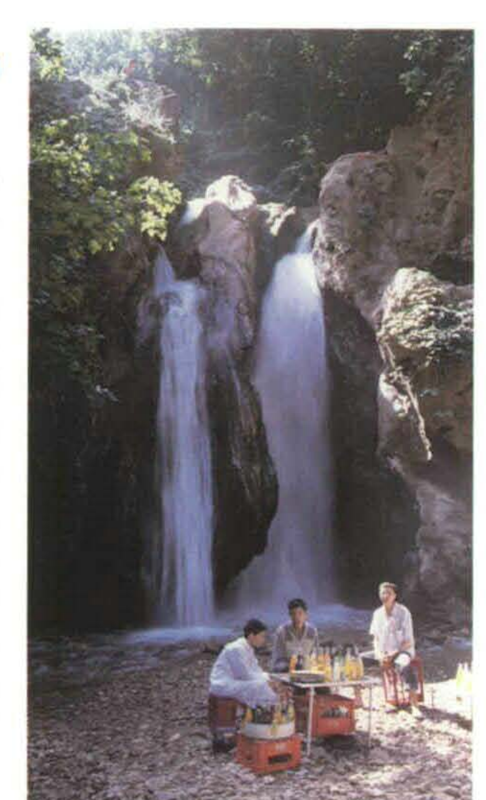
حالما يدخل الزائر المدينة القديمة عبر « باب بوجلود » ويشق طريقه وسط الجموع المتدفقة في أزقة المدينة القديمة أو



مدفع ضخم يتصدر متحف النور للأسلحة القديمة .

الباحة الداخلية لمدرسة الصهريج التي بناها أبو الحسن المريني عام ٧٢١هـ ، وتمتاز بتناغم الزخرفة المكثفة مع بساطة التصميم المعماري ، وقد أخذت اسمها من الصهريج المستطيل الموجود قبالتها .

« فاس البالي » كما يطلق عليها أهل فاس ، فإنه يستنشق عبق التاريخ الاسلامي في كل ركن وزاوية . فهذه المدينة مزيج رائع من القصور والنزل والمساجد والمدارس القديمة والأسواق المتخصصة حسب الصنائع والحرف . فمن خلال جماليات الفنون المعمارية المتجلية في المباني ، وانسياب المجاميع البشرية في أسواق المدينة ، وتجمعات الصنّاع المهرة ، يحسب المرء للوهلة الأولى أنه رجع القهقرى مئات السنين ليعيش في كنف المدينة العربية الوحيدة التي ما زالت تحافظ على أصالة تاريخها وتميزها الثقافي . ففاس مادة غنية لنظرية المدينة الاسلامية ومعالمها الأساسية المتكاملة الوظائف والمهام . والتي تنم عن البنية الذهنية المكونة لها ، والخلفيات الفكرية والاجتماعية والتاريخية الكامنة وراء تأسيسها . فالحارات المتلاصقة والمتدفقة بالصور والايحاءات الحية تنبىء عن ذهنية متفاعلة مع محيطها الطبيعي ، فالشوارع الضيقة والمباني العالية تمنع حرارة الشمس من النفاذ الى قلب المدينة النابض بالحركة . وفي نفس الوقت تحتوي ساحات المنازل والأبنية على نوافير وفق تصميم هندسي مبدع يجيد فن استخدام الماء كمصدر ضروري للبقاء وكعنصر جمالي بارز ضمن جماليات العمارة الاسلامية ، وذلك بالرغم من المظهر الخارجي المتواضع للمبنى . ويتيح التصميم العام للفتحات والشبابيك وتقنية استخدام الأقواس المختلفة الأحجام للسكان التمتع بأقصى حد ممكن من الخصوصية الشخصية مع توافر الشمس والضوء ، والنسيم المنعش الذي يهب من الجبال المجاورة .



تنساب شلالات المياه المنحدرة من جبال أطلس بين سفوح الجبال مكونة أنهاراً وعيوناً جارية تحلب الحياة والنماء . كما هو حال عين « فيتال » المجاورة لمصيف يفرن .

الأسواق المتخصصة

لعل أهم ما يبهر عين زائر فاس القديمة هو أسواقها التي هي بمثابة القلب النابض الذي يمور بالحياة ، والتاريخ الناطق لمهارات حرفية عريقة تراكمت عبر الأجيال والأحقاب . فالمتسوقون المتلهفون على المصنوعات الفاسية يشملون السواح وكذلك أهل المغرب أنفسهم الذين يأتون زرافات زرافات من مدن الدار البيضاء والرباط وطنجة .. الخ ، لابتياع حاجياتهم وملبوساتهم التقليدية من « فاس » التي تبز قريناتها من المدن المغربية التاريخية الأخرى في صناعات عديدة منها صناعة النحاس التي برعت في صناعته وتزويقه في شوارعها ومساجدها وأزقتها وفنادقها ، حتى أصبحت كأنها وردة من نحاس تشع دفئاً وحرارة .

ان زائر فاس لا يخطىء النحاسين الذين يزاولون حرفتهم التقليدية في ساحة الصفارين بالمدينة القديمة على ايقاع معدات طرق معدن النحاس . كما برعت فاس أيضاً في صناعات الأواني الفضية والمنسوجات القطنية والحريرية المغربية التقليدية . ونظراً لعراقة الصناعات الحرفية وجذورها الضاربة في النسيج الاجتماعي والاقتصادي للتركيبة السكانية ، فان المهن التقليدية عرفت معنى التخصص الانتاجي والتسويقي منذ زمن طويل . حيث اختصت كل طائفة من الناس بمهنة ترتبط باسم العائلة الى حد بعيد فهناك النحاسون ، والصباغون ، والعطارون ، والدباغون ، والحدادون .. الخ . والسوق مقسمة الى مناطق حسب المنتجات المعروضة أو الحرفة المتداولة . فهناك أسواق الذهب ، والمنسوجات ، والنحاس ، والشمع ، والحلوى ، والفخار ، والعطر ، والزرابي ، والسيراميك .. الخ . ومعظم الحرفيين في فاس يشتغلون في عدد وافر من الورش المقامة على جانبي الطرقات الضيقة والأزقة التي تتشعب انطلاقاً من منطقة مسجد القرويين .

المعالم التاريخية

تضم المدينة القديمة عدداً من المعالم التاريخية التي تمثل عبقرية العمارة



تعرف مدينة فاس بأنها « مدينة النحاس والنحاسين » . والفضل يعود للحرفيين الذين أضافوا اليها الكثير من ابداعها .

الاسلامية ، وتمنح فاس طابعاً معمارياً فريداً ضمن التراث الانساني . وكان بناء المدارس سمة من سمات هذه المدينة العلمية التي استضافت تقليدياً طلاب العلم عبر القرون ، ومن أهمها :

المدرسة البوعنانية : وهي من أجمل المباني التي شيدها المرينيون ، وتتميز بجماليات الزخرفة والتنميق التي شملت النقش على الجبس ، والحفر على الخشب ، وترصيع الجدران بالسيراميك والفسيفساء المختلف الألوان ، وبالرخام الأبيض والأسود .

مدرسة العطارين : وقد تم بناء هذه الكلية عام ١٣٢٣م على يد أبي سعيد المريني . وهي تحفة معمارية بما تحويه ساحتها الداخلية من فسيفساء وعناصر زخرفية أخرى ، وتعد مثالا بارزاً للحس الفني الذي أكسب المدن المغربية حلة من البهاء الممزوج بالرقة والعذوبة تميز بها عصر الدولة المرينية .

مدرسة المصباحية : تم بناؤها في القرن الرابع عشر الميلادي ، وتمتاز بأروقتها المقنطرة التي تزيد من جمال تصميمها الهندسي البديع .

لقطة توضح جانباً من قلب مدينة فاس القديمة ، بالقرب من جامع القرويين .

يضفي شارع الملك الحسن الثاني ، بقناته المائية الممتدة ، وتحفه المصطف على الجانبين . لمسة من الجمال الأخاذ على وسط مدينة فاس .

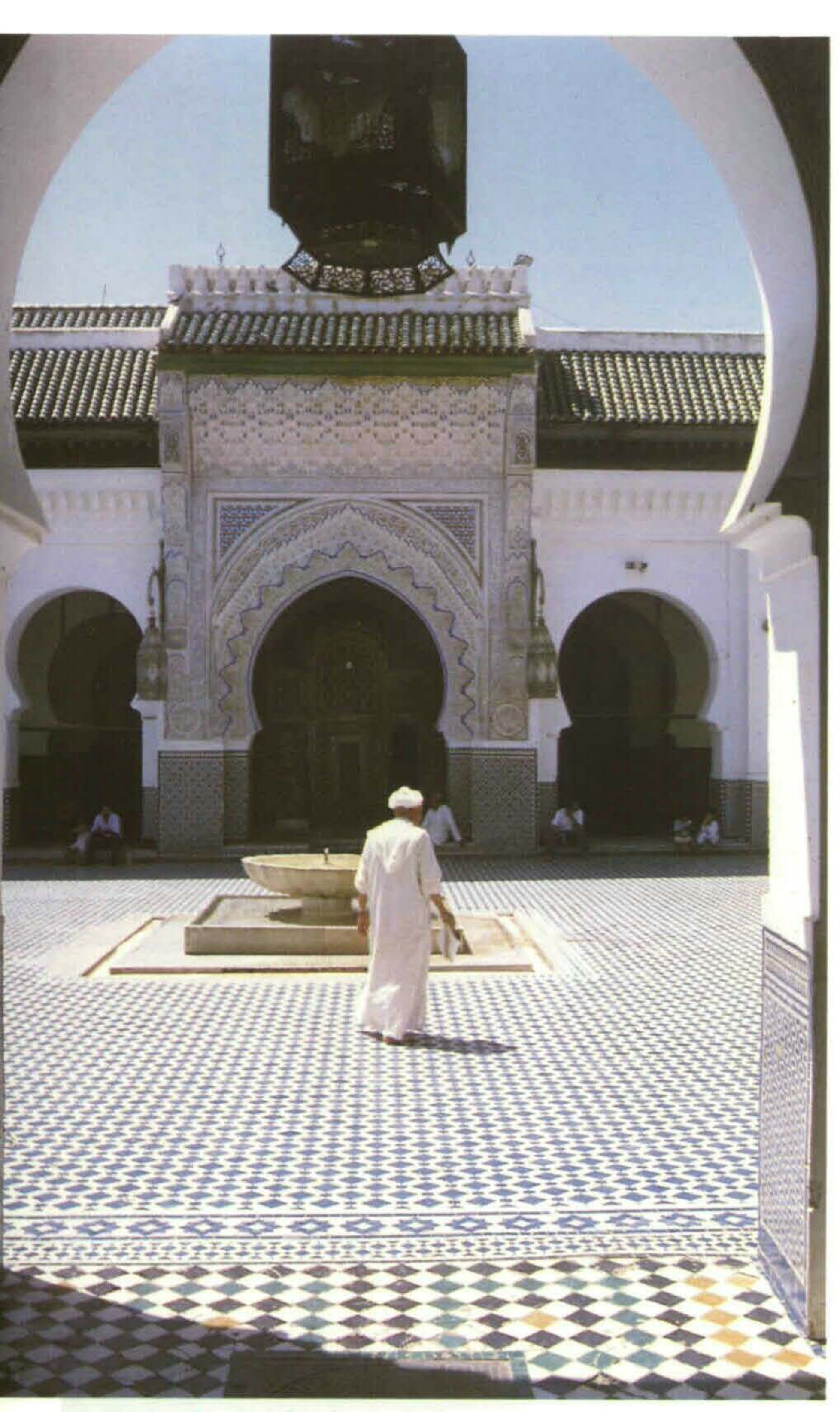
جامع القرويين

في قلب مدينة فاس العتيقة ، ينتصب جامع القرويين بكل جلال ووقار كشاهد اسلامي خالد يبرز دور المسجد الريادي في تاريخ هذه البقعة من بقاع الديار الاسلامية . كما كان أيضاً مقر أقدم جامعة في منطقة البحر الأبيض المتوسط وما جاورها . وهذا المعلم الثقافي لم يفقد شيئاً من سماته المعمارية الأصيلة التي تعود الى العهد الادريسي . فهو رصيد ثمين للقيم الروحية والحضارية المتبلورة في العديد من أشكاله

الهندسية . أما بالنسبة لبنائه ، فأغلب المصادر تذكر أن من قام بوضع أساس هذا الجامع العريق ، هي فاطمة أم البنين ابنة الفقيه أبي عبدالله محمد بن عبدالله الفهري المهاجر من تونس ، وذلك عام ٢٤٥هـ . فبعد أن ورثت هي وأختها مريم ثروة هائلة قررت اقامة هذا الصرح الديني ، وقد حذت حذوها أختها مريم التي أنشأت بدورها جامع الأندلس على الضفة المقابلة لنهر فاس ، وتوخت أن يكون نسخة مطابقة لجامع القرويين الذي أخذ اسمه من الحي الذي سكنه أهل القيروان ، الذين جاؤوا مهاجرين من تونس الى فاس ، وقد قام السلطان المرابطي ، علي بن يوسف بتوسعة هذا المسجد وتجميله وأنفق عليه بكل سخاء حيث أضاف اليه الأعمدة الكثيرة والأقواس والزخارف الاسلامية الجميلة . ويغطي المسجد مساحة ١٠٠٠٠ متر مربع ويتسع لنحو عشرين ألف مُصلٍ . وبذلك يعتبر من أكبر مساجد المغرب .

وتتصدر مدخل المسجد ساحة هي آية من الجمال المعماري ، وللمسجد أربعة عشر باباً تحيط به من كل جانب . وقد تحول مسجد القرويين شأنه شأن عدة مساجد في العالم الاسلامي ، الى حلقة للدراسات العلمية وأصبح لعدة قرون مقراً لأول جامعة اسلامية في فاس ومركزاً للدراسات الثقافية لعموم المغرب . وتردد عليه الطلبة من أوروبا في القرون الوسطى كأول جامعة منظمة عرفها العالم ، ولم تقتصر الدراسة فيه على علوم اللغة والتشريع الاسلامي فقط بل شملت أيضاً نواحي علمية وفكرية عديدة .

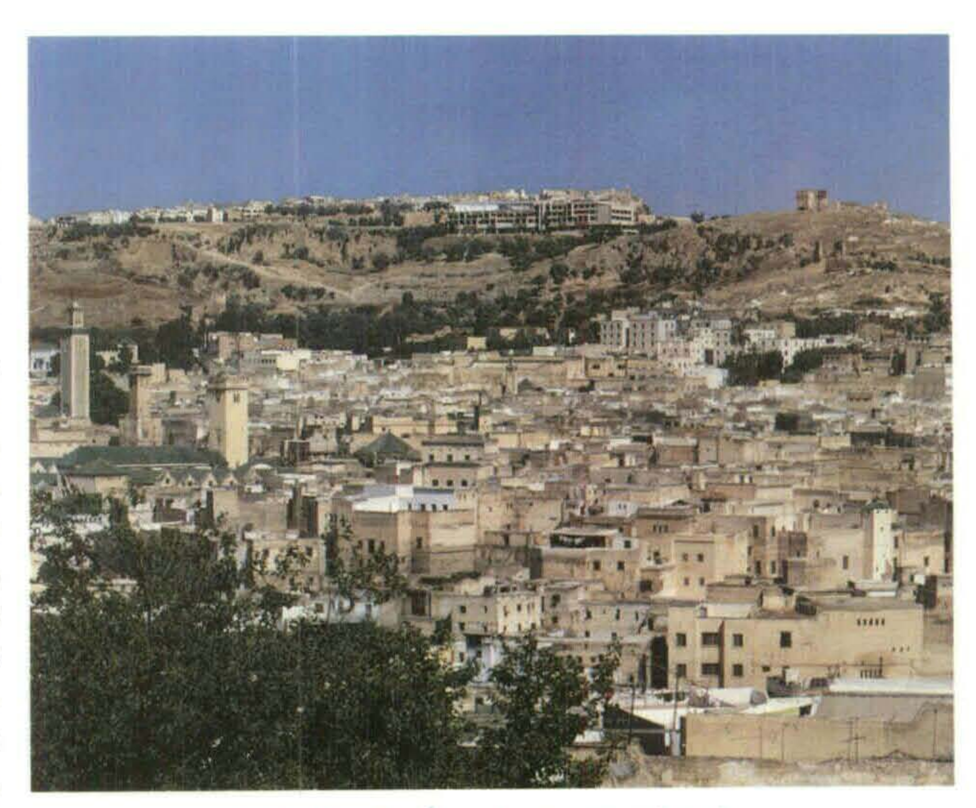
وتحوي مكتبة الجامعة التي يعود انشاؤها الى القرن الثالث عشر الميلادي مخطوطات نادرة . وقد انقضى الآن ما يزيد على أحد عشر قرناً منذ انشاء جامع القرويين وما يزال يؤدي رسالته الثقافية السامية كمركز للاشعاع العلمي والحضاري في المغرب العربي وشمال افريقيا .



جانب من ساحة جامع القرويين الذي يعتبر معلماً ثقافياً ودينياً بارزاً في تاريخ فاس .

فـاس الجـديـدة

بعد أن يتجول الزائر في « فاس البالي » ينتقل الى « فاس الجديدة » وهي



منظر عام لمدينة فاس القديمة ، من أحد المرتفعات القريبة .

الجزء الآخر من مدينة فاس التاريخية التي قام بانشائها المرينيون في القرن الثالث عشر الميلادي ، وتحوي عدداً من القصور والمساجد الأثرية ، منها قصر دار المخزن الملكي ، والمباني الأثرية الملحقة به . ثم ينتقل الزائر الى باب السمارين ، الذي تعلوه الأقواس ، وهو المدخل الأصلي لفاس الجديدة . ثم يتابع جولته فينتقل على التوالي بين المشوار الصغير وباب السبع والمكينة ، وهو مصنع قديم للأسلحة أنجز في عهد الدولة العلوية على يد السلطان الحسن الأول ، في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي . وينتهي بعد ذلك الى البطحاء حيث يوجد « متحف دار البطحاء » الذي يزخر بمختلف أنواع الصناعات التقليدية بالمغرب . وهمزة الوصل ما بين فاس الجديدة والمدينة العصرية هي ساحة الباشا البغدادي ، التي تزدحم بكثير من رواد المقاهي .

ضَواحي فـَاس

تتوسط فاس مناطق طبيعية وسياحية وزراعية مهمة ، اذ تتساقط على الجبال والأودية المحيطة بها كميات هائلة من الأمطار والثلوج في الشتاء ، جعلتها منطقة جذب سياحية لممارسة رياضة التزلج ومشاهدة الطبيعة الساحرة من أنهار وغابات ومياه معدنية ومنتجعات . ومن بين أهم الينابيع المعدنية التي تزين حاضرة فاس :

– **سيدي حرازم** : وهو من أهم منتجعات المياه المعدنية في المغرب . ويمتاز بمياهه الدافئة التي تصلح لمعالجة أمراض الكلى والمسالك البولية والمريء والعيون ، ويقع على بعد ١٠ كيلومترات شرق فاس .

– **مولاي يعقوب** : وهو نبع للمياه المعدنية يقع على بعد ٢٢ كيلومتراً غرب مدينة فاس ، ويمتاز بالمياه الساخنة المتدفقة ، التي تحتوي على الكبريت لمعالجة الأمراض الجلدية والروماتيزم والتهابات الأنف والحنجرة .

وتزخر المنطقة المحيطة بفاس بعدد وافر من البيئات الجبلية والبشرية التي تكشف التنوع الطبيعي الذي تمتاز به المنطقة التي كانت سبباً في أن تتبوأ فاس مكانتها العالية في تاريخ المغرب . فعلى مسافة لا تزيد على ٣٥ كيلومتراً من فاس تقبع قرية « أموزار كندر » البربرية على ارتفاع ١٣٥٠م فوق سطح البحر ، في جبال أطلس المتوسط ، الذي تدين له هذه المناطق بالكثير من الجمال والسحر الطبيعي .

وبفضل موقعها المطل على الوديان الخصبة ، وسلسلة الفنادق المنتشرة فيها والبحيرات الجميلة في مرابعها الخضر ، أصبحت قبلة للسياحة والمصطافين . ومن المنتجعات الجبلية المهمة مدينة « يفرن » التي تبعد مقدار ٦٠ كيلومتراً من فاس . وتقع على ارتفاع ١٦٠٠م فوق سطح البحر . وتحيطها الوديان والسفوح الجبلية المغطاة بغابات أشجار الأرز والبلوط . وقد حازت لقب « جوهرة الأطلس » لما تمتلكه من مزايا طبيعية وسياحية مهمة ، ليس أقلها المناخ المنعش صيفاً ، والبحيرات الجبلية ، والجداول والينابيع المتدفقة من سفح الجبال ، والوديان الخصبة . وبفضل الثلوج التي تغطيها طيلة فصل الشتاء فانها تعد منتجعاً مهماً لرياضة التزلج . كما توفر الجبال المحيطة بيفرن منحدرات مناسبة للتزلج مثل محطة ميشليفن ، التي تعتبر منتجعاً شتوياً تحيطه الغابات الكثيفة من كل جانب . ويقوم نادي التزلج بيفرن بتقديم جميع خدمات هذه الرياضة العالمية من معدات ومرافق وارشادات .

وفي ضواحي يفرن ، تنتشر الشلالات المتدفقة من بين جنبات وشقوق جبال أطلس ، لتصنع لوحة بديعة من تفاعل الماء والغطاء النباتي والنشاط الانساني كما هو الحال في شلال « عين فيتال » الذي يقضي فيه سكان مدينة فاس وزوارها وقتاً هنيئاً بصحبة الأهل والأصدقاء ، بين خرير شلالات الماء وحفيف أوراق الشجر .

ان مستطلع فاس يشده حنين تاريخي وثقافي الى العصر الذهبي للنهضة الاسلامية ، لكونها المدينة العربية الاسلامية الوحيدة ، التي ما زالت تحافظ على سماتها وموروثاتها الثقافية الخاصة في اطار حي متحرك ، يثبت بجلاء مدى التأقلم والابداع الحضاري الذي امتازت به الثقافة الاسلامية في هذا الركن القصي من العالم الاسلامي . وفي اطار هذا المنطلق اعتبرت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة « اليونسكو » فاس جزءاً من التراث الانساني العالمي الذي يجب المحافظة عليه وحمايته بيئياً ومعمارياً وأثرياً من التصدع والضياع □

فردوس الشاعر

شعر: محمد ضي الشمامي - الظهران
جامعة الملك فهد للبترول والمعادن

أي الفراديس أقصيها وتدنيني ... شأن المحبين من قالٍ ومفتونِ

أي الفراديس ما غنى الهزار بها ... إلا على فنن للشعر محزونِ

إن رحت يوماً أناغيها لتطربني ... ألفيت ثمة من أطيافها الجونِ

تلفني لف مسحور بساحرة ... إن مسني عبقر من الشياطينِ

أو رحت أستلهم النجوى بقافية ... غراء قلت لأمسي عودي لتلحينِ

تند مني وتوري الحسن جامحة ... جموح ظبي شرود في الميادينِ

لا تستطيب لقائي وهي مثقلة ... كخافق من شكاة الدهر مشحونِ

أريدها وهي تجري في منازلها ... فليتها بحمى (الفردوس) تغريني

راودتها وهي خجلى في تمنعها ... رود المحبين من حين إلى حينِ

وكم نثرت بأفق الشعر أشرعتي ... حبا ولم أطوها يوماً لتطويني

وكم فرشت بأهدابي لها سرراً ... وشيتها من شذا أحلى مضاميني

ومن جفوني مرسى في مرافئها ... تقتات من سهري وردي ونسريني

أرخصت في حبها قلباً تلوذ به ... لوذ النسيم بأفنان البساتينِ

وما عشقت سواها مذ تعلقها ... قلبي تعلق مفتون بمفتونِ

* * *

فردوس يا جنة الأحلام وارفة ... بك الظلال ولكن في تلاحيني

أراك عند الخيال السمح سامقة ... فينانة العود في شتى التلاوينِ

يرف منك خيال لا أشيم به ... سوى تدفق شلال [illegible]

والمترفون حواليه ترق لهم ... كأس تدار بأيدي الخرد العينِ

لا يظمأون وفي أكنافهم ديم ... وطفاء تهطل هطلاً غير ممنونِ

فليتني وحمى الفردوس يحضنني ... أغدو إلى فيئهم حينا ليأويني

لعل بـ(الدوحة)[1] الفيحاء منتجعا ... إليّ أو منبعاً عذباً فيرويني

أو بـ(الخليج)[2] ظلالاً أستجم بها ... عند المقيل غداة الشمس تضويني

وفي (الربيع)[3] ربيع الأنس مؤتلقا ... والحسن ما بين أشذاء الرياحينِ

ندية وربى (الريان)[4] ما برحت ... ريا تعطر آفاق الأساطينِ

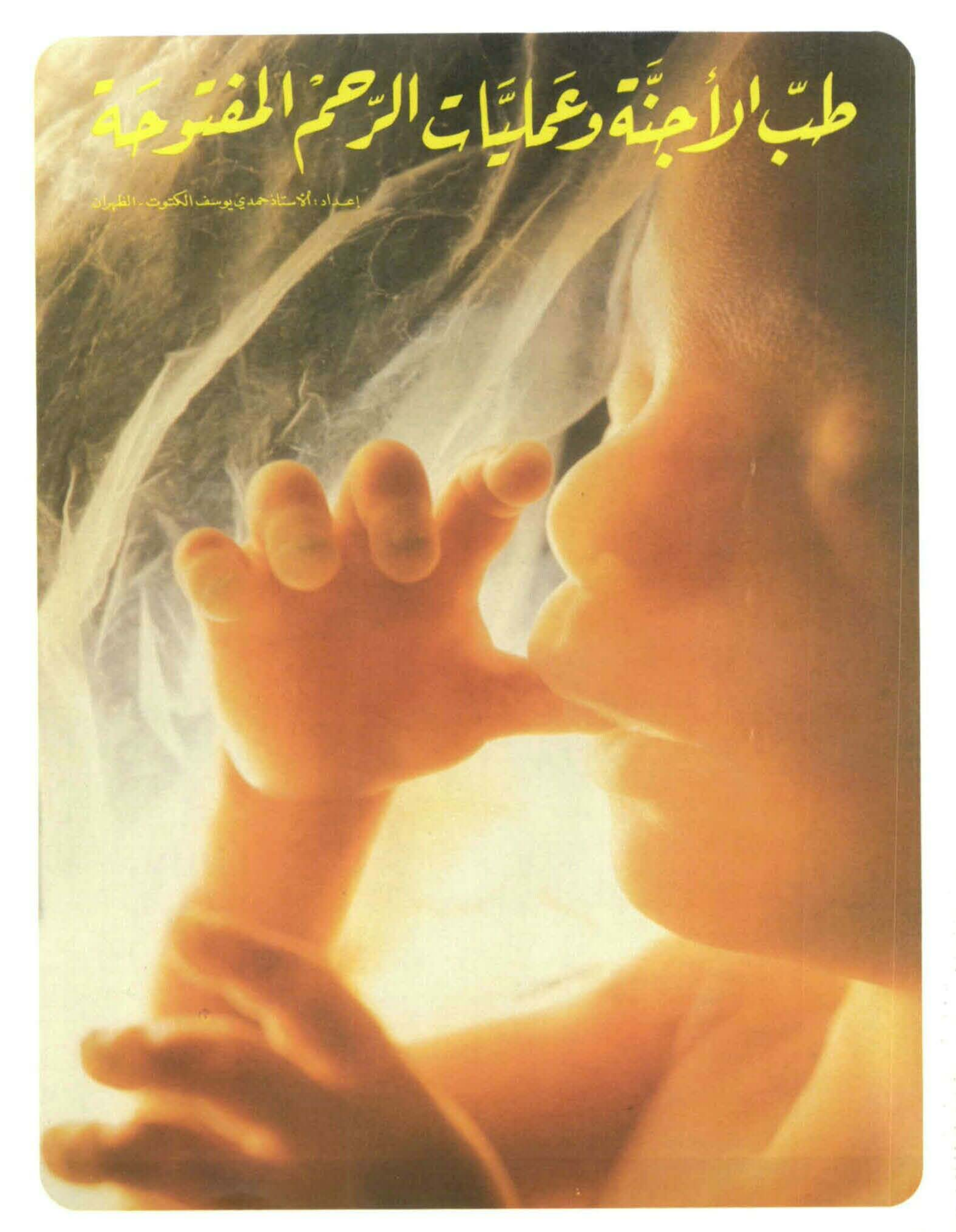
فليتها وهي تذكو في مرابعهم ... ببعض ما تهب الأنداء ترضيني

وليتها وهواها في فمي خضل ... على المعاناة والشكوى تسليني

(١-٢-٣-٤): الفردوس والدوحة والخليج والربيع والريان، أسماء أحياء في سكن جامعة الملك فهد للبترول والمعادن.

طبّ الأجنّة وعمليّات الرّحم المفتوحة

إعداد : الأستاذ حمدي يوسف الكتوت - الظهران



في خطوة رائدة في مجال طب الأجنة الجديد تحقق ما كان ينظر اليه قبل فترة من الزمن كضرب من المستحيل ، فقد نجح الأطباء مؤخراً في اجراء جراحات أطلقوا عليها اسم عمليات الرحم المفتوحة (Open-womb surgery) . ويُجرى مثل هذا النوع من العمليات لمعالجة الأجنة التي تتطلب حالتها الصحية وتكوينها الخلقي في بعض الأحيان القيام بتدخل جراحي لاصلاح تشوهات لحقت بها وهي ما زالت في طور النشوء والتكوين .

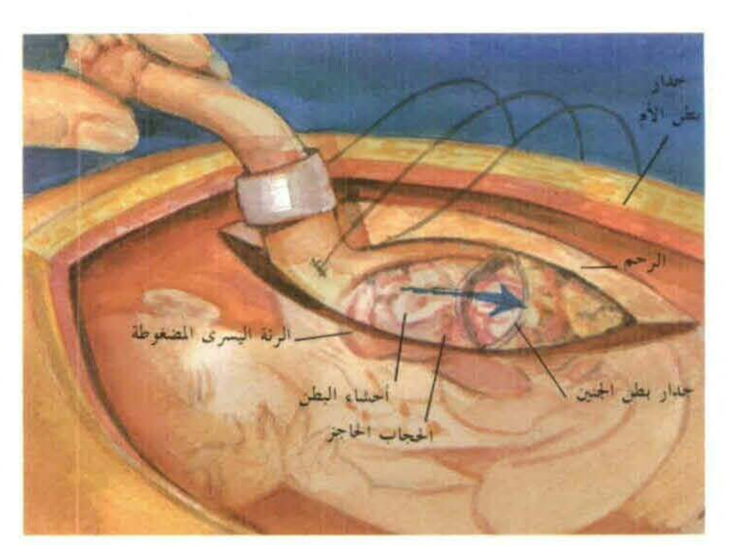
ويقتضي هذا التخصص في معالجة الأجنة (Fetal therapy) اجراء فحوص دقيقة وشاملة للجنين في مرحلة مبكرة من فترة الحمل باستخدام وسائل ومعدات تشخيص على درجة عالية من الدقة ، لمعرفة ان كانت هناك تشوهات خلقية أو حالات خلل تحول دون قدرة الجنين على النمو ، سواء في الرحم أم عقب الولادة مباشرة . واذا ما شخصت حالة من هذا القبيل لجأ الطبيب المختص الى تقييمها على ضوء الامكانات العلاجية المتاحة بهدف التدخل الجراحي .

واتضح في بداية الثمانينات ان انسداد المسالك البولية (Obstructive uropathy) لدى الأجنة ، وهي حالة تصيب واحداً من ألفين من الأجنة الذكرية ، من التشوهات الخلقية التي استأثرت باهتمام الأخصائيين في بداية الأمر . فقاموا بابتداع الوسائل اللازمة لمعالجة مثل هذا الخلل واصلاحه باستعمال تقنية خاصة بعمليات الرحم المغلقة (Closed-womb) . ويعزى هذا التشوه الى وجود نسيج لحمي زائد عند قاع مثانة الجنين ، مما يسد الفتحة ويجعل خروج البول أمراً صعباً ، وربما متعذراً تماماً ، لذلك يزداد حجم المثانة ازدياداً كبيراً لاحتباس السائل فيها . وقد كان الدكتور مايكل هاريسون ، جراح الأطفال الأمريكي أول من أجرى المعالجة والرحم مغلقة لاصلاح هذا النوع من الخلل . وقد تكللت المحاولة بالنجاح ، فمهدت بذلك السبيل أمام عمليات أخرى أكثر صعوبة وتعقيداً لمعالجة حالات مرضية وتشوهات بطريقة الرحم المفتوحة .

وفي أثناء التحضير لاجراء عمليات الرحم المفتوحة ، تعرض الدكتور هاريسون الى انتقادات زملائه لمحاولته استخدام هذا الأسلوب من الجراحة ، الذي كان يُعتقد أنه يعرض حياة الأم والجنين لمخاطر مؤكدة . ومن الجدير بالذكر ان هذا النوع من العمليات أجري أكثر من مرة في الستينات ، ولكن باءت جميع تلك المحاولات حينذاك بفشل ذريع ، مما صرف الأطباء عن الاستمرار في هذا الدرب . غير أن الدكتور هاريسون لم يعبأ بتلك النتائج السابقة وقرر خوض التجربة بنفسه مجدداً . واتخذ للأمر عدته وتسلح بحصيلة نتائج مئات من عمليات الرحم المفتوحة التي أجراها على الأغنام والقردة ، ليتمكن من دراسة كل الصعوبات التي تعترض نجاح جراحة الأجنة بفتح الأرحام ومحاولة تذليلها .

ومن حالات التشوه والخلل الخلقي التي تصيب الأجنة وتودي بحياتهم إما في الرحم أو عقب الولادة بوقت قصير تلك الحالة التي يظل فيها جزء من الحجاب الحاجز مفتوحاً أو مفتوقاً (diaphragmatic hernia) . والحجاب الحاجز المقصود هو ذلك الغشاء الذي يفصل التجويف الصدري بما يحتويه من قلب ورئتين عن التجويف البطني الذي يضم الأحشاء : الكبد والمعدة والأمعاء وغيرها من الأعضاء . وقد وجد أن الفتق الخلقي في الحجاب الحاجز يصيب جنيناً واحداً من بين ألفين ومائتين من الأجنة . ويترتب على هذه الاصابة أن يتسرب جزء كبير من أحشاء التجويف البطني الى

مايكل هاريسون ، الجراح الذي أحرز النجاح في عمليات الرحم المفتوحة .



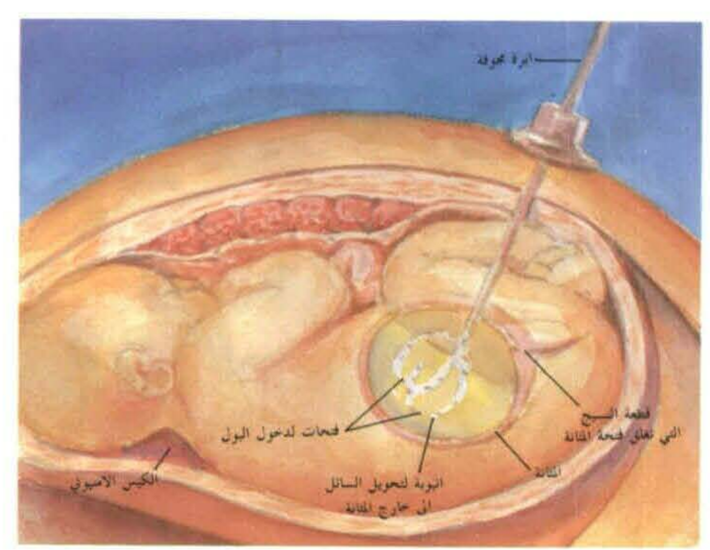
رسم توضيحي يمثل عملية اصلاح ثغرة خلقية في الحجاب الحاجز للجنين بطريقة الرحم المفتوحة .

التجويف الصدري ، مما يؤدي الى انكماش البطن والى توقف الرئة القريبة من الفتق عن النمو ، نظراً للضغط الذي تتعرض له من أعضاء البطن التي احتلت مكانها . وكثيراً ما كان الأطباء وجراحو الأطفال يصابون بالاحباط لاخفاقهم في انقاذ حياة مولود جديد يولد مصاباً بهذا الخلل . وقد أدرك الدكتور هاريسون ، بصفته جراح أطفال أهمية التدخل الجراحي المبكر لمعالجة هذا الخلل الخلقي والجنين ما يزال في الرحم . واستمد هذا الجراح ، من النجاح الذي أحرزه في عمليات الرحم المغلقة لمعالجة انسداد المثانة ، العزم والتصميم على محاولة رتق الفتق في الحجاب الحاجز للجنين . فأجرى ست عمليات من هذا القبيل (كان نصيبها الفشل لسبب أو لآخر) قبل أن تتكلل مساعيه بالنجاح في العملية السابعة .

لقد وقع هذا الحدث المهم في مضمار طب الأجنة في ١٥ يونيه ١٩٨٩م ، عندما استطاع فريق من الجراحين من جامعة كاليفورنيا يعمل تحت اشراف الدكتور مايكل هاريسون انجاز أول عملية رتق ناجحة للثغرة الخِلْقية في الحجاب الحاجز لجنين بلغ عمره الرحمي حينذاك أربعة أشهر ونصف . وفي اليوم الخامس من شهر أغسطس من تلك السنة ، أي بعد سبعة أسابيع من العملية ، ولد الطفل « بليك شولتز » بعملية قيصرية قبل اكتمال فترة الحمل ، نتيجة لحدوث تقلصات رحمية قبل الأوان نجمت عن التغيرات الهرمونية التي أحدثتها الجراحة . وقد كان المولود يتمتع بالصحة الكافية التي مكنته من البقاء على قيد الحياة ليكون رمزاً حياً وشاهداً على نجاح المساعي الحثيثة والمضنية التي بذلها الأطباء والجراحون المختصون ، لا سيما الدكتور مايكل هاريسون ، في تطوير فرع جديد من التخصصات الطبية الدقيقة ، هو طب الأجنة وعمليات الرحم المفتوحة .

وقبل تقرير اجراء العملية خضعت والدة بليك شولتز لفحص بجهاز الموجات الصوتية فوق السمعية خلال فترة الحمل ، كشف عن وجود فتق في الجانب الأيسر من الحجاب الحاجز . كما وجد أن أحشاء البطن قد انتقلت من هذه الثغرة الى الجانب الأيسر من الصدر ، فنجم عن ذلك توقف الرئة عن النمو عند الحد الضئيل الذي كانت قد بلغته . وأدرك الدكتور هاريسون ، من خبرته السابقة ومن ملابسات العمليات الفاشلة التي أجراها لمثل هذه الحالة ، أن أمامه هذه المرة فرصة جيدة لاثبات جدوى التدخل الجراحي والنجاح في معالجة الفتق . واتخذت الترتيبات اللازمة لاجراء عمليتين جراحيتين للأم والجنين ، وأعطيت لهما الجرعة المناسبة من المادة المخدرة لتنويمهما سوياً خلال العملية . وجرى شق بطن الأم وفتحت الرحم ثم شفط السائل الأمنيوني الى الخارج مؤقتاً ريثما تنتهي العملية التي تجرى للجنين . واستعمل الجراح مهارته في سحب ذراع الجنين اليسرى ، التي لم يزد حجمها عن حجم اصبع من أصابعه ، الى خارج فتحتي الرحم والبطن ثم أدارها ليعدل من وضع الجنين بالشكل الملائم لاجراء الجراحة عليه . كما استعمل المبضع ليفتح شقاً تحت عظم القفص الصدري في الجهة اليسرى ، ثم شرع في اعادة الأحشاء البطنية من كبد ومعدة وأمعاء من تجويف الصدر الى مواقعها الأصلية في تجويف البطن ، وضبط ذلك كله بصورة محكمة . ولحسن الحظ كانت ما تزال هناك بقية من الرئة اليسرى فأصبح لديها الآن مجال للنمو والوصول الى الحجم الطبيعي . وسد الجراح الثغرة في الحجاب الحاجز بخياطة رقعة جراحية من نوع (Gore-Tex) يقبلها الجسم ، ثم أغلق الشق الذي فتحه تحت القفص الصدري برقعة أخرى . وهو بذلك يكون قد انتهى من العملية الأولى على الجنين وبقي عليه انجاز أصعب جزء من الجراحة : ألا وهو إغلاق الرحم الحساسة جداً لأي عبث فيها . والصعوبة في ذلك مردها الى تعرض الرحم للاصابة بتقلصات تدفع ما استقر فيها الى الخارج اذا ما حاول الجراح خياطتها . ولكن كان هاريسون قد تعلم سر المحافظة على هذا العضو الحساس ساكناً خلال خياطته من التجارب العديدة التي أجراها على الحيوانات . وقد ظلت هذه الرحم في حالة هدوء حتى انقضت فترة سبعة أسابيع على الجراحة ثم حدثت تلك التقلصات ، مما اقتضى اجراء التوليد بعملية قيصرية لعدم اكتمال فترة الحمل وللمحافظة على الجنين .

والآن وبعد أن أصبحت عمليات الرحم المفتوحة لمعالجة الأجنة حقيقة واقعة، فمن المتوقع لها أن تستمر في فتح آفاق علاجية جديدة وتحرز المزيد من التقدم في وضع حد للكثير من الحالات المرضية الخِلّقية التي تصيب الأجنة، لا سيما المتعلق منها بتصحيح المشاكل التي يسببها خلل في الصبغيات الوراثية (الجينات) . وعليه فقد يصبح بالامكان في المستقبل معالجة أمراض القلب والشرايين الخِلّقية لدى الأجنة قبل ولادتها، وكذلك التدخل لاجراء عمليات نقل خلايا جذعية (Stem-cell transplant)، وهي خلايا توجد في الكبد وفي نخاع العظم وتعمل على تجديد خلايا الدم الحمراء والبيضاء والصفائح الدموية بصورة مستمرة، من أحد الأبوين أو من أجنة أخرى سليمة الى أجنة تعاني من متاعب واضطرابات من هذا القبيل . كما يتطلع الأطباء المختصون الى الاستفادة من هذا التطور في طب الأجنة في القضاء على بعض الأمراض الوراثية وهي في مهدها : كمرض فقر الدم بسبب الخلايا المنجلية ومشاكل ضعف المناعة الطبيعية ونقص أنواع معينة من الأنزيمات التي تساعد على هضم المواد الكربوهيدراتية وحالات استسقاء الدماغ (وجود ماء في رأس الجنين) وغيرها من الأمراض التي تصيب الكبد . ويعتقد هؤلاء الأطباء أن التصدي لمثل هذه الأمراض ومعالجتها خلال المرحلة الجنينية سوف يكون أسهل وأقل تكلفة من اجراء معالجة طويلة الأمد وباهظة التكاليف في مرحلة لاحقة من العمر .



لمعالجة الانسداد في مثانة الجنين يستعمل الجراح إبرة مجوفة لادخال أنبوبة خاصة عبرها الى المثانة بحيث يبلغ أحد طرفيها السائل بينما يظل الطرف الآخر في الكيس الأميوني المحيط بالجنين . وعندما تسحب الابرة يتخذ طرفا الأنبوبة شكلاً معقوفاً لتظل في موضعها وتساعد في عملية تصريف البول من المثانة الى الكيس الأميوني .

ومن المعروف والثابت أن تحقيق تقدم في أحد المجالات الطبية سيؤدي الى نتائج ايجابية تنعكس بشكل أو بآخر على نواح مختلفة من المهنة . والجدير بالذكر في هذا المقام أن الاستعدادات العلمية والتقنية والتجارب التمهيدية التي قام بها الأطباء لاحراز التقدم في جراحة الرحم المفتوحة، بما في ذلك الدروس المستفادة من مرحلة التشخيص لاختيار الجنين المناسب لاجراء العملية أو في أثناء الجراحة أو خلال مرحلة المتابعة اللاحقة، قد أسهمت بصورة مباشرة في تطوير المعالجة المتبعة في عدد من الأمراض وفتحت آفاقاً جديدة تبشر بنجاحات لم تكن متوقعة . فعلى سبيل المثال لا الحصر سيحاول الأطباء من الآن فصاعداً نقل ما يمكن تطبيقه من اجراءات اتخذت للمحافظة على هدوء الرحم ومنع حدوث تقلصات فيها خلال الجراحة الى معالجة احدى المشاكل الواسعة الانتشار لدى الحوامل ألا وهي حدوث الطلق (آلام المخاض) قبل الأوان، وما يتبع ذلك من وفيات أجنة لم يكتمل نموها في الأرحام .

ومن الاكتشافات المهمة التي لاحظها فريق الأطباء الذي عمل مع الدكتور هاريسون خلال المتابعة اللاحقة للعملية وعقب ولادة الجنين عدم وجود ندبة أو أثر للجرح الناتج عن شق النسيج اللحمي تحت القفص الصدري . فالشفاء في الجلد كان تاماً دون أي أثر على الاطلاق، مما يدل على وجود آلية كيميائية معينة يقتصر عملها على المرحلة الجنينية فقط، ويترتب عليها تكوين مادة الكولاجين الضامة بطريقة فريدة يجهل الأطباء كنهها . وبطبيعة الحال سيسعى الباحثون الى تحديد هذه الآلية أو الأنزيمات الجنينية الخاصة للاستفادة منها في مجال الجراحة التجميلية والارتقاء بالنتائج التي يمكن بلوغها . كما سيلجأ الأطباء الى الاستفادة من هذه الخاصية في معالجة واصلاح بعض العيوب الخلقية في هيئة رأس وملامح وجه الجنين، الذي يتضح بالكشف أنه مصاب بمثل هذه التشوهات .

من الدراسات والأبحاث التي تجرى حالياً وتتركز على الأجنة تلك الخاصة بالكشف عن أسرار جهاز المناعة الطبيعية عند الجنين . فقد اتضح من التجارب العديدة التي أجريت في هذا الصدد أن جسم الجنين لا يرفض ما يزرع فيه من نسيج، سواء جاء هذا النسيج من أحد والديه أم من جنين آخر لا يمت له بصلة . ويأمل الباحثون التوصل الى الكشف عن سر هذا اللغز في مضمار المناعة، لأن ذلك سيحقق انجازاً ذا أهمية قصوى في العلوم الطبية □



شجرة البان
جمال ودواء وغذاء

بقلم: د. محمّد إبراهيم الشعراوي والأستاذ إبراهيم علي عيد
قسم علوم الأغذية وتقنيتها - جامعة الملك فيصل - الأحساء

يعرّف مجمع اللغة العربية شجرة البان بأنها ضرب من الشجر ، سبط القوام ، لين ، ورقه كورق الصفصاف ، ويشبه به الحسان في الطول واللين ، وواحدته « بانة » . ويصف ابن منظور شجر البان بانه شجر يسمو ويطول في استواء مثل نبات الاثل وورقه أيضاً هدب كهدب الاثل ، طويل شديد الخضرة ، وينبت في الهضاب ، واحدته « بانة » . ويعرف البان في بعض مناطق المملكة العربية السعودية باسم « اليسر » . أما الأسماء الانجليزية فهي : Winged Moringa, Myribalanum of Josephus, Ben - Oil tree, Horse-radish tree. والمناطق الاستوائية هي على الأرجح الموطن الأصلي للشجرة ، اذ تنتشر من افريقيا حتى الهند ، خاصة بشمال شرق وجنوب غرب افريقيا ، وفي مدغشقر والجزيرة العربية والهند . وقد وجدت ثمار البان بمقابر كثيرة لقدماء المصريين ، كما جاء ذكرها مراراً بالكتابات المصرية القديمة تحت اسم « بيك Bik» حيث كان لها استخدامات طبية عديدة .

ويعرف لشجرة البان أنواع عديدة تتبع الجنس مورينجا Moringa وهو الوحيد المعروف بالفصيلة البانية Fam. Moringaceae رتبة الخشخاشيات Rhoeadales ومن هذه الأنواع المذكورة M. aptera, M. arabica, M. drouhardii, M. longituba, M. oleifera, M. ovalifolia, M. stenopetala.

ويلاحظ أن اسم البان يطلق في السودان على شجرة الكافور Eucalyptus المعروفة ، ربما لتشابهها مع وصف العرب الأوائل لشجرة البان من حيث الارتفاع وخضرة الأوراق الشريطية ونعومة ملمس فروعها ومرونتها .

ويجب أن نفرق بين شجرة البان Moringa وشجرة اللبان Pozwella التي تعرف أيضاً بأسماء الكندر والمغرة . وألا نخلط بينها وبين أوراق البان أو ما تسمى فلفل البيتل Piper betle واسمها العلمي Chavice betle وتتبع الفصيلة Characeae وتزرع بجنوب شرقي آسيا لأوراقها ، حيث تلف حول جوز البيتل وتمضغ بعد الخلط بالهيل أو القرنفل . ويستخرج من الأوراق زيت له استعمالات طبية .

وتتركز أشجار البان بالمملكة العربية السعودية بمنطقتي الجوف (شمال غرب المملكة) ، وعسير (جنوب غربها) حيث تتشابه المنطقتان عموماً في التربة والمناخ وخطوط الطول وفصل هطول الأمطار . ولا شك أن اهتمام الأهالي بهذه الشجرة قد زاد من انتشارها بهاتين المنطقتين ، حتى أنهما تحتويان سبعين بالمائة من العدد الكلي لأشجار البان بالمملكة الذي يقدر بحوالي ١٢٠ ألف شجرة ، تنتشر فيما يقرب من نصف مليون كيلومتر مربع .

الوصف النباتي

شجرة البان شجرة كبيرة متساقطة الأوراق ، سريعة النمو يصل ارتفاعها ما بين ١٠ الى ١٥ متراً ، لها جذر وتدي متعمق في التربة يساعد على امتصاص الماء من أعماق بعيدة ، مما جعل الشجرة تتحمل الجفاف ، وكذلك امتصاص الأملاح اللازمة لنمو النبات والمنصرفة مع مياه الأمطار الى هذه الأعماق ، وإعادتها ثانية الى سطح التربة فتصبح متاحة لكثير من النباتات الأخرى ذات الجذور الأقل تعمقاً . كما يعمل هذا الجذر المتعمق على ثبات شجرة البان فلا يسهل على الرياح اقتلاعها . وللشجرة ساق اسطوانية ، تتفرع الى أفرع طويلة رشيقة لينة تكسبها جمالا وفتنة . وللأفرع قواعد تشبه الغدة ، أما الأوراق فمركبة ريشية أحادية الى ثلاثية التضاعف ، لكل منها ثلاثة أزواج من الريشات الإبرية ، تظهر كما لو كانت أفرعاً جانبية متقابلة . والورقة اما عديمة الأذينات أو ذات أذينات غدية صغيرة .

تزهر شجرة البان في الربيع قبل ظهور الأوراق في شهر مايو صيفاً ، مما يعطيها شكلا فائق الجمال . والزهرة بيضاء مشوبة بحمرة خنثى أحادية التناظر ، توجد في نورات عنقودية غير منتظمة الترتيب . ويتكون الطلع من محيطين أو ثلاثة أحدها فقط خصيب ، ويكون الخارجي منها عقيماً . وبالمتك غرفة واحدة لحبوب اللقاح ، وبكل محيط من الطلع خمس أسدية خيوطها غير متساوية الطول . وتلتحم المتوك كلها حول الميسم ، كما يلتحم الكأس والتويج والطلع عند قواعدها مكونة قرصاً على هيئة أنبوبة قصيرة . أما المتاع فيتكون من ثلاثة كرابل ملتحمة علوية فوق حامل متاع قصير ، مكونة مسكناً واحداً يحوي عدداً كبيراً من البويضات المقلوبة المرتبة في صفين على ثلاثة مشيمات جدارية ، أما الأقلام فيوجد منها اثنان الى أربعة وتكون سائبة عند قمة المبيض . وتظهر الثمار بعد الاخصاب في قرون مدلاة من فروع الشجرة ، وتنضج في شهر أكتوبر ، حيث يبلغ طول القرن حوالي ٢٠ـ٣٥سم . والثمرة علبة متفتحة ذات أضلاع ثلاثة . والبذور كبيرة بيضاء مغبرة ثلاثية الأضلاع أيضاً تشبه لحد ما بذرة الفستق .

شجرة البان فتنة وجمال

يوضح الوصف النباتي السابق للشجرة ، وخصائص الجذر المتعمق ، والساق المتينة ذات الأفرع الرشيقة اللينة ، والأوراق الريشية الأبرية شديدة الخضرة ، اختيار الشجرة كمصد للرياح والعواصف الرملية ، أو كسياج للمزارع والحدائق بمنظرها ، أو للظل والزينة خاصة على جوانب المتنزهات . فتمتاز الشجرة بمنظرها الخلاب خصوصاً وقت الازهار وقبل ظهور الأوراق ، فتبدو الأزهار وحدها بيضاء مشوبة بالحمرة .

ويقول ابن منظور في لسان العرب « ولاستواء نباتها ونبات أفنانها ، وطولها ونعمتها ، شبَّه الشعراء بها الجارية الناعمة ذات الشطاط ، فقيل كأنها بانة أو كأنها غصن بان . فيقول فيها قيس بن الخطيم :

حوراء جيداء يستضاء بها
كأنها خوط بانة قصف

أو في الأخرى :

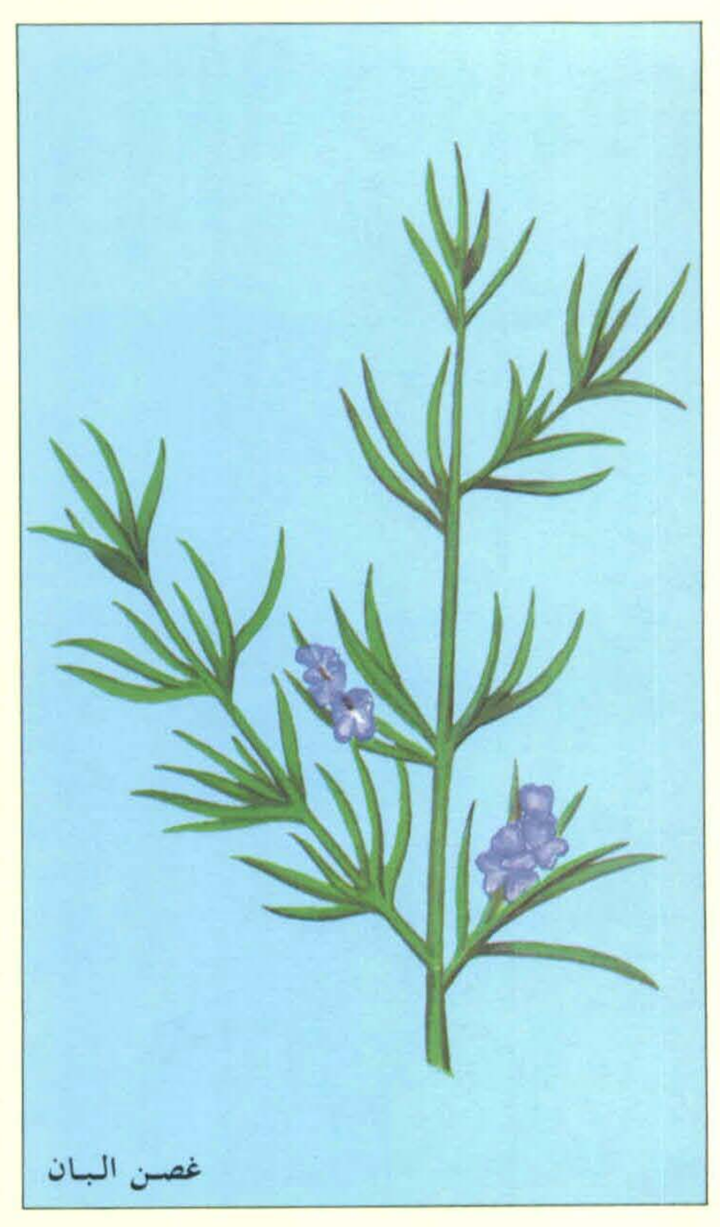
يا ناعماً رقدت جفونه
مضناك لا تهدا شجونه
ما البان إلا قده
لو تيمت قلباً غصونه

استخدامات البان

تستخدم شجرة البان كمصد للرياح ، أو سياج أو للظل والزينة كما قلنا ، وقد تستخدم السيقان كأعمدة ، ولكون خشبها تنقصه الصلابة ، فهو يستخدم للوقود . وتستخدم الأوراق والأزهار والقرون في تايوان كخضروات وتمتاز بمحتواها المرتفع من مولدات فيتامين (أ) ، كما تصلح الأوراق الجافة كمهاد للماشية أو كسماد أخضر .

أما القيمة الاقتصادية المهمة للبان فتكمن في الثمار ، خاصة أن الحبوب تحتوي نصف وزنها زيتاً . وقد عرف قدماء المصريين زيت البان واستخدموه في بعض مستحضرات التجميل والعطور وكذلك في الحقن الشرجية وللأذن لتحسين السمع . وجاء في لسان العرب أن ثمرة البان تشبه قرون اللوبياء ، ولها حب يستخرج منه دهن طيب يستخدم في الطيب . ويقول القزويني عن البان : « شجرة معروفة حبها أكبر من الحمص مائل الى البياض طيب الرائحة ، وله لب دهني » . وجاء في قاموس الغذاء والتداوي بالنباتات أن « دهن البان حار رطب يستخرج من حب أبيض أغبر كالفستق كثير الدهن والدسم ، ينفع من صلابة العصب ويلينه ، وينفع من البرص والنمش والكلف والبهق ، ويلين الأوتار اليابسة ، ويسخن العصب . ومن منافعه أن يجلو الأسنان ويكسبها بهجة وينقيها من الصدأ ، ودهن الخصر وما تحته بالدهن ينفع من برد الكليتين وتقطير البول » ومن استخدامات زيت البان العلاجية ، تدفئته ثم دهان الأرجل والظهر به عند الشعور بالآلام خاصة آلام المفاصل ، كما يؤخذ بالفم في حالات المغص ، ويزداد تناوله شتاءً لاكساب الجسم الدفء المرغوب . ويذكر أن زيت البان كان يستخدم في مصر ـ وربما ما زال ـ لتحضير مستحضرات خاصة لبعض الراغبات في السمنة . وقد وصف زيت البان أيضاً بأنه زيت حلو الطعم عديم الرائحة جيد الحفظ ، وله قيمة عالية كزيت استخلاص في صناعة العطور .

ويعرف زيت البان جيداً بمناطق انتشار الشجرة بالمملكة ، حيث يجري استخلاصه بغلي الحبوب في الماء ، ففي منطقة المدينة المنورة وما حولها ، حيث يطلق على البان اسم « اليسر » ، تشتهر الشجرة بسرعة نموها حتى أنها تزهر وتعطي ثمارها في عامها الثاني ، وتعقد الثمار بعد خمسة وعشرين يوماً من الازهار . وتقوم النساء عادة بعملية استخلاص الزيت بطريقة يدوية فيجري تخليص الحبوب من القرون ، ثم كسر القشرة الصلبة بالضرب الهين في هاون معدني ، وتستبعد .



غصن البان

ويقول الشريف الرضي :

يا ظبية البان ترعى في خمائله
ليهنك اليوم أن القلب مرعاك
الماء عندك مبذول لشاربه
وليس برويك إلا مدمعي الباكي »

وربما كان أمير الشعراء ـ أحمد شوقي ـ أكثر من استخدم البان في أشعاره . وقد استطعنا جمع حوالي ٢٥ بيتاً في قصائده جاء بها ذكر البان . ومنها قصيدته المشهورة التي مطلعها :

علموه كيف يجفو فجفا
ظالم لاقيت منه ما كفى

ثم يقول :

غصن بان كلما عاتبته
عطفته رقة فانعطفا

استخلاص زيت البان واستخدامه

يدفأ في قدر معدني بعض الماء الحلو ، حيث يعتقد أن الماء المالح (أو العسر) يقلل من كفاءة الاستخلاص ثم تضاف حبوب البان المقشورة ويسخن الماء للغليان ، ويستمر الطبخ على نار هادئة لتفادي ظهور الطعم المطبوخ في الزيت أو تغيير لونه ، لحوالي ٨ـ١٠ ساعات حتى ينفصل الزيت من الحبوب . بعد ذلك يترك القدر ليبرد ، فيتجمع الزيت على السطح ، وتجرى إزالته الى إناء آخر نظيف بطريقة يدوية ، حيث يكشط براحة اليد فتعلق بها قطرات الزيت ، ومن ثم تمسح راحة اليد بحافة الاناء لتنساب قطرات الزيت داخله ، وهكذا حتى يتم نقل كل ما يمكن من قطرات الزيت الطافية على سطح الماء الى إناء التجميع ، ومنه يعبأ الزيت في زجاجات محكمة الغلق ، وتخزن بمكان مظلم للاستعمال المنزلي أو التسويق التجاري . ويقال إن الدهن المخزن بهذه الطريقة لا يلاحظ فيه تغير في اللون أو الرائحة لأكثر من عام ، بل يمكن استخدامه خلال ثلاث سنوات . وتباع الزجاجة سعة لتر بثمن مرتفع جداً يبلغ من ٢٠٠ـ٥٠٠ ريال وفقاً لجودتها المستدل عليها باللون والطعم ومدة التخزين السابقة . وهذا السعر المبالغ جداً في ارتفاعه يعود دون شك الى عامل الندرة ؛ اذ يكون محصول الشجرة أربعة كيلوجرامات من الزيت في العام . والى جانب استخدامات الزيت الغذائية والعلاجية يستخدمه الأهالي في عمليات الطبخ ، وطلي الخبز المنزلي المعروف بخبز « الطاجر » ، أو الخبز العادي فيعطيه طعماً لذيذاً .

أما المتبقي من البذور بعد استخلاص الزيت فيجري تجفيفه وتناوله وحده أو مع الأرز . وتستخدم البقايا الداكنة اللون علفاً للحيوانات .

دراسة حبوب وزيت البان

قمنا بمعامل قسم علوم الأغذية وتقنيتها بجامعة الملك فيصل بالاحساء ، بدراسة مستفيضة على حبوب البان من المدينة المنورة ظهر منها :

ـ يكون لبعض الحبوب لون داكن وهي الناضجة ، اما فاتحة اللون فأقل نضجاً .

ـ يبلغ وزن البذرة الناضجة أكثر قليلا من نصف جرام ، ووزن غير الناضجة أقل قليلا من نصف جرام .

ـ يصل وزن اللب في البذور الناضجة الى ٦٣٪ ويكون حوالي ٥٥٪ فقط في الأقل نضجاً .

ـ تحتوي الحبوب المقشورة على أكثر من نصف وزنها زيتاً (انظر الجدول المرفق) أي يبلغ وزن الزيت أكثر من ربع وزن محصول الشجرة من البذور قبل تقشيرها .

ـ أظهرت الدراسات الدقيقة للزيت التي لا يتسع المجال هنا لشرحها ، تشابهاً كبيراً في التركيب الكيماوي والصفات مع زيت الزيتون ، مما يرشح زيت البان كزيت مائدة ، خاصة اذا ما أخذنا في الاعتبار نكهته المحببة .

التركيب الكيماوي لحبوب البان المقشورة

المكونات	النسبة المئوية	المكونات	النسبة المئوية
الزيوت	٥١	الرطوبة	٣,٥
البروتين	٢٢	أملاح معدنية	٣
الألياف	٣,٥	الكربوهيدرات	١٧
		المجموع	**١٠٠**

ـ يظهر من الجدول أيضاً أن حبوب البان غنية بالبروتين ، حيث تصل نسبته الى ٤٥٪ من المتبقي بعد استخلاص الزيت مما يجعل حبوب البان مصدراً متفوقاً لهذا المكون الغذائي المهم جداً لبناء الجسم . ومن المعروف أن بروتينات البذور النباتية المختلفة تتمتع بقيمة حيوية عالية تقارب تلك التي للبروتين الحيواني .

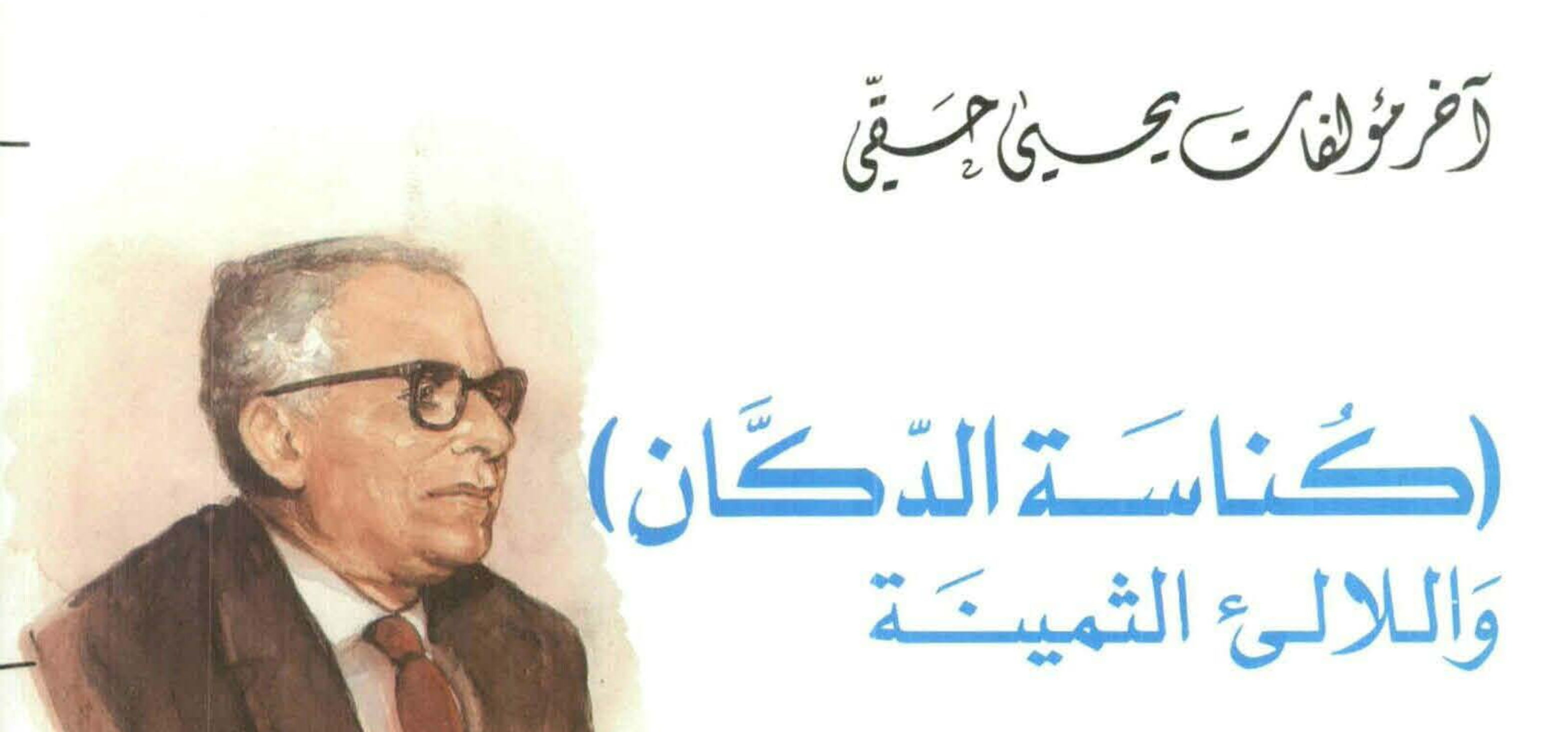
ـ يوفر تناول مائة جرام من الحبوب المقشورة أكثر من ٦٠٠ سعر حراري . فاذا أخذنا في الاعتبار محتوى البذور من الألياف والأملاح المعدنية والفيتامينات وجدنا أن لبذور البان قيمة غذائية مرتفعة حقاً ، تدفعنا للاهتمام بهذا المحصول المهمل .

ـ تحتوي الحبوب على مادة مرة الطعم تتحول بعد قليل في الحلق الى الطعم الحلو وتظل كذلك لمدة طويلة . ويمكن إزالة هذه المرارة بغلي الحبوب في الماء .

ـ يمكن تحضير عجينة من بذور البان غنية بالدهن والبروتين ، تشبه زبدة الفول السوداني المعروفة .

هذه هي شجرة البان جمال ودواء وغذاء □

آخر مؤلفات يحيى حقي



(كُناسَة الدّكّان) وَاللآلئ الثمينة

بقلم: عبد الله خيرت - هيئة التحرير

بهذا المجلد، وهو الثامن والعشرون، تكتمل مؤلفات شيخ الأدباء يحي حقي، التي تتابع صدورها على امتداد السنوات الأخيرة. وسيشعر كثير من القراء بالأسف لتوقف هذا الينبوع الصافي الثري الذي أضاف الى المكتبة العربية كنزاً ثميناً من المعرفة والمتعة، وقدَّم للمبدعين دروساً قيمة في كيفية تذوق اللغة العربية وكشف أسرارها وسحرها.

لقد ألزم يحيى حقي نفسه منذ البداية أن « يأخذ من كل فن بطرف ». وهذا لا يعني السطحية والسرعة والمعرفة الخاطفة المبتورة، وانما أدرك الرجل المعنى الحقيقي الذي قصده العرب القدماء بهذا التعبير، فهو يتمثل ما أخذه ويطيل التأمل فيه وينشغل به انشغالا كلياً، قبل أن يقدمه للناس تجربة جديدة حية تبرز أول ما تبرز قيمة الدأب والمثابرة والصبر.

وها هي ابداعات يحيى حقي أمامنا بعد أن اكتملت تتمثل في القصة القصيرة والرواية واللوحات القلمية، وهو في كل ذلك رائد لم يسبق، فهو يغوص في أعماق التاريخ مصطحباً سخريته الحزينة، ومندهشاً من أن الانسان لم يتعلم من آلاف التجارب السابقة، ومفتشاً عن أصدقائه من « الكومبارس » والعامة وعمال التراحيل الذين يخفيهم الظلام في كل عصر، مع أنهم صانعو الأحداث وبناة الحضارة، وهو يتحدث عن الموسيقى حديث الدارس المتذوق فيقربها من ادراك الانسان العادي واحساسه، ويصحب القارىء الى السينما والمسرح ليكشف له همساً ـ ولكن باصرار ـ الصدق من الزيف، وفي قاعات الفن التشكيلي يرى مستغرقاً ـ رافعاً رأسه لأعلى لأنه قصير ـ في قراءة لوحة لا تكشف سرها للنظرات المتعجلة، بل هو قادر على الدخول في جدل مع مجمع اللغة العربية ـ وهي ليست تخصصه ـ حول القاموس الجديد، فيكتب ملاحظاته ومآخذه على هذا القاموس في فصول ممتعة تحت هذا العنوان الذي يستعيره من فارس الشدياق، ولكن لا تجد فيه أثراً لتكلف السجع: « الجاسوس على القاموس ».

لقد حرص الرجل على أن يكتب عما عرفه واستقصى دقائقه، فهو لا يزعم أبداً أن ما يقوله في أي موضوع هو فصل الخطاب، بل يترك الباب مفتوحاً على سعته، طالباً من قارئه أن يصوب له أخطاءه، أو يضيف ما عنده من معلومات غابت عنه، أو حتى ينقض كلامه من أساسه.. وهذا درس آخر عميق في التواضع نفتقده عند كثيرين.

ويكتب يحيى حقي ـ مثل كل فنان ـ وعينه على المتلقي، ويجيء اعترافه بذلك في كتابه الأخير هذا « كناسة الدكان » وعادة ما يكون المتلقي الذي يتوجه اليه الفنانون الكبار يصعب إرضاؤه أو الهرب منه أو تجاهله؛ انه هناك في الركن المظلم من الحجرة خلف الستارة، تسمع ضحكاته الساخرة أو كلماته المشجعة، وأحياناً يقترب حتى ليحس الفنان أنفاسه على وجهه.. ان هذا المتلقي اليقظ هو الذي يجعل الأديب ـ أو يطلب منه أن ـ يحذف ويضيف،

ويمزق ليبدأ من جديد ، هو الذي يكشف للرسام خداع الألوان الصارخة ، ويحرك أصابع الموسيقى ليوقف النشاز والخلط .. ودعك ـ بعد هذه الأدلة الواضحة ـ من الذين يقولون أنهم يبدعون لأنفسهم ؛ فلو كان الأمر كذلك لاكتفوا باسترجاع ما أبدعوه في غرفهم المغلقة .

وخوفاً من هذا المتلقي كان يحيى حقي يوقع قصصه الأولى بأسماء مستعارة ؛ حتى لا يصطدم بمن يسفه أفكاره وينتقد طريقته في الكتابة .. ها هو يعترف لنا في كتابه الأخير : « .. وعمدت ـ زيادة في التضليل ـ الى سرعة التنقل بين رموز مختلفة لا رابطة بينها ؛ فكتبت مرة باسم « لبيب » تلميحاً من بعيد بأنني ـ يا للغرور ـ أفهم بالاشارة ، ومرة بامضاء « قصير » مبالغة في السخرية من نفسي ، وان أضمرت أملا في أن يفسرها بعض القراء بأنها تجديد لذكرى قصير داهية العرب ، الذي قال في قصة الزبَّاء « لو كان يطاع لقصير أمر » ومرة باسم « عبدالرحمن بن حسن » حين كنت أهيم بالجبرتي ، ومرة بامضاء « عابر سبيل » فقد كانت هذه صفتي في الحياة حينئذ ، وربما الآن أيضاً .. » .

ولم يتحقق للرجل في تلك الفترة المبكرة ما أراد أبداً ؛ فقد كان يتمنى أن يسمع ولو مرة واحدة نقاشاً حول ما كتب ، فان سمع مدحاً أرضاه وإن سمع ذماً ظل بعيداً عن اللوم ، لأن الناس لا يعرفونه .. انها رغبة طبيعية تؤرق كل فنان .. ولكن : « .. الغريب أنني رغم طول تلهفي على نوال هذه اللذة ، لم أظفر بها مرة واحدة . الظاهر أنني كنت أخالط أناساً لا يقرؤون أو يقرؤون كل شيء الا ما أكتب ، أو أنني كنت أكتب في صحف ومجلات بلغ من عار بوارها أن أصبحت سرية .. » .

هذه الشكوى من الصحف السرية التي يبثها يحيى حقي في آخر مؤلفاته تثير تساؤلا بالغ الأهمية ، قد تكشف محاولة الاجابة عليه أعماق الرجل وطبيعته انساناً وفناناً ، فاذا كان قد تخفَّى في بداية حياته الأدبية وراء قناع من الأسماء المستعارة ، واختار ـ أو اضطر ـ أن يكتب في صحف ومجلات محدودة التوزيع ، فما الذي جعله في العقود الثلاثة الأخيرة ، بعد أن عرفه الناس رائداً حقيقياً للقصة والرواية ومثقفاً واسع الثقافة ، وتحولت كثير من ابداعاته الى أعمال سينمائية وتلفزيونية .. ما الذي جعله يواصل الكتابة في تلك الصحف السرية ؟

اننا اذا استثنينا بعض دراسات تعد على الأصابع نشرها بمجلة « المجلة » في عصرها الذهبي حين كان رئيساً لتحريرها ، فان أغلب أعماله منذ الستينات ظلت تنشر في صحف مسائية لا يراها الا قلة نادرة من القراء ، أو في صحف موجَّهة أساساً الى العمال والفلاحين .

أعتقد أننا سنجد إجابة السؤال الذي طرحناه اذا تابعنا الرجل وهو يتحدث عن نفسه ـ حديثاً غير مباشر بالطبع ـ ثم اذا عرفنا الهموم التي شغلته فجعلها مادة لكتاباته .

إنه يكره الزحام والأصوات الصارخة والوقوف في الصفوف الطويلة والجري ـ اللهاث ـ وراء متع الحياة الزائفة . وقد ظل يسكن بميدان « روكسي » الذي كان هادئاً في مصر الجديدة سنوات طويلة ، فلما لم يعد قادراً على تحمل أبواق السيارات ومكبرات الصوت وصخب المتسكعين بعد منتصف الليل ، انتقل الى شقة صغيرة في آخر مصر الجديدة تائهة في شارع جانبي غارقة مع ما حولها في صمت يتيح له فرصة التأمل والتفكير . وهو يسخر من الأساتذة الأجلاء الذين يبتذلون أنفسهم ويتسابقون للظهور في التلفزيون .. ويقول عنهم في هذا الكتاب : « ... فلعل أغلب هؤلاء تترنح اعطافهم بفرحة الظهور في التلفزيون ، مجرد الظهور ، بدلة التلفزيون هي بدلة الأعياد ، سوداء مخططة أو كحلي منغمشة ، ورباط الرقبة تم شراؤه في اليوم ذاته ، والحذاء لمِّيع ، والجلسة بحساب ، واللفتة بتقدير ، والتخشُّب على أتمه .. » .

ولا يهم بعد ذلك ماذا يقول هؤلاء .. المهم هو الظهور ، بل أن بعضهم يبالغون كثيراً فيضعون « المكياج » على وجوههم قبل أن يجلسوا أمام العدسة . وقد رأى يحيى حقي واحداً منهم فظنه مريضاً وأشفق عليه قبل أن تصعقه المفاجأة التي يحدثنا عنها بطريقته المتفردة : « ... فالى اليوم لا أزال أذكر شهقتي حينما قابلت صديقي هذا ذات مساء في دهاليز التلفزيون ، فقد خيِّل إليَّ أنه أصيب فجأة بارتفاع مخيف في ضغط الدم ، أو أن مرضاً جلدياً عجيباً قد طفح على وجهه ، فأصبح لونه لا هو أصفر ولا أحمر ولا أبيض بل بين بين ، لعل أصدق تشخيص أنه أصيب لتوه بفقر شديد في الدم ؟ فحول عينيه هالات سود ، وأنا لا أعرفه يكحل عينيه .. هجمت عليه أقول له :

ـ مالك ؟ سلامتك .. دعني أصحبك الى البيت .

فاذا به يبتسم ويقول :

ـ قيل لي أن المكياج ضروري لأجل أن تكون صورتي طبيعية .

قلت وأنا أكتم خيبة أملي :

ـ طبعاً .. طبعاً » .

هذه هي طبيعة يحيى حقي ، أما الموضوعات التي شغلته واختارها مجالا لابداعه فهي هموم الانسان العادي وأشواقه وأحلامه وتوهج لحظات السعادة القصيرة في حياته ، وخيبة أمله التي تصحبه كظله بعد أن يكتشف ـ في الوقت غير المناسب ـ زيف الدنيا وخداعها . ولكنه لا يقدم مادته تلك خطباً ومواعظ ، وانما يعرضها ـ كما رأينا في الفقرة السابقة ـ بحياد صارم ، تاركاً للمتلقي أن يفهم ما يشاء .

وقد ابتعد يحيى حقي باختياره تلك الطريق ، عن منطقة الخطر التي سقط فيها مشاهير الكتاب من جيله وبعد جيله ، وتخلص من شباك الترغيب والترهيب التي

اصطادت غيره ، فهو في هذه الصحف الخاصة أو « السرية » ليس مطالباً ــ كما هو الحال في منابر النشر العالية ووسائل الاعلام ذات البريق ــ أن يلاحق الأحداث المتغيرة والمتلاحقة والمتناقضة في أحيان كثيرة ، حتى يظل في مقدمة الصفوف تحت وهج الضوء ، وليس مطالباً كذلك أن يتملق جمهور القراء العريض ، فيحدث الناس عن هموم عابرة تشغلهم لحظات ثم تذوب .

انه يكتب ما يريده هو ، لا ما يراد منه أن يكتبه ، سالكاً الطريق التي اختارها وفرضت عليه أن يتأنى ويفكر كثيراً وألا يمتهن الكلمة أو يكون فرداً في جوقة متشابهة تردد نشيداً مبتذلا . لذلك فلن نجد له أبداً مواقف متضاربة متخبطة تتغير حسب الظروف ، وتعقب ندماً شديداً ، حين يفقد الكاتب في ساحة الابتذال احترامه للكلمة ولنفسه كذلك .

وكتبه كلها تؤكد هذه الحقائق وتقدم أدلة لا حصر لها على صدقها وسنكتفي هنا ــ ما دمنا نتحدث عن كناسة الدكان ــ بهذه اللوحة التي استرجعها يحيى حقي من عالمه الخاص ونثرها لآلىء ثمينة وحياة متدفقة عذبة ممتزجة بالشجن صادقة ، يحس كل قارىء أنها تلمس جزءاً من حياته هو .. وانها ليست حديثاً خاصاً جداً عن طفولة الكاتب .

ان الأطفال الصغار وهو معهم يتحلقون حول فتاة من سنهم ، يسعدون باللعب معها ، ويرسمون لها في خيالاتهم البريئة صورة نقية طاهرة ، انها محور اهتمامهم ، وهم يحسون بها هكذا : « ... ان تكون منا نحن أطفال الحي الذين يلعبون في الشارع أمام البيوت ، فانها أصبحت منذ أول يوم لنا معها ــ دون أن ترشح نفسها أو يجري انتخاب ــ ست الستات عند الشلة . ربما كانت أصغر منا سناً ، لكنها كانت لنا جميعاً أختنا الكبرى ، أكبر سعادة لنا أن تقنع بالجلوس على دكة البواب وتراقب لعبنا ، لا طعم للغلبة والانتصار الا على مرأى منها . قد نتعارك نحن الأطفال فيما بيننا ونشد بعض البنات من شعورهن أو نوقعهن أرضاً أو نزعق في وجوههن .. لكن هيهات لأحد منا أن يلمس ست البنات بأصبعه أو يرفع في مخاطبتها صوته . كانت تمثل كل ما في قلوبنا الصغيرة من حماسة غامضة وتلهف مبهم للدفاع عن معنى جميل لا ندري ما هو .. » .

والمتوقع بعد سيطرة هذه البنت الآسرة عليهم ، أن تكون من نصيب واحد منهم ، حين تجري الأيام ويصبحون شباباً يبحثون عن زوجة ، وهل تكون الزوجة / الحلم الا ست البنات هذه ؟ ولكن كما هو شأن الدنيا لا يتحقق لأحدهم هذا الحلم ، لا يفلح واحد من أبناء حي « الحلمية الجديدة » حيث يسكنون وتسكن معهم أن يتزوجها ، وانما تكون من نصيب شاب من « حي الحسين » .

ويحيى حقي مندهش مثلنا وهو يستعيد هذه الأحداث ، وينقل لنا الاحساس بألم هذا الفقد الذي جرب كل منا مرارته يوماً ، فهي اذن ليست مشكلة خاصة : « ... وكبرنا ، وأصبح فينا المحامي والطبيب والملحق الدبلوماسي ، وتزوج بعض أبناء الحي من بعض بنات الحي .. ولكن أحداً منا لم يتقدم لخطبة ست الستات ، قد تقول هذا منطق غير معقول ولا مبرر ونتيجة غير متوقعة ولكن ثق أن هذا هو الذي حدث ، أنا لا أعرف السبب ، فتفلسف أنت كما تريد ، قل انها كانت تزال في نظرنا شيئاً أبعد من منالنا ، قل أننا كنا نخلط في ذلك الوقت بين الجنس والتلوث ، أو على الأقل بين الجنس والامتهان .. وكان لست الستات في قلوبنا إعزاز وتوقير لا حد لهما .. » .

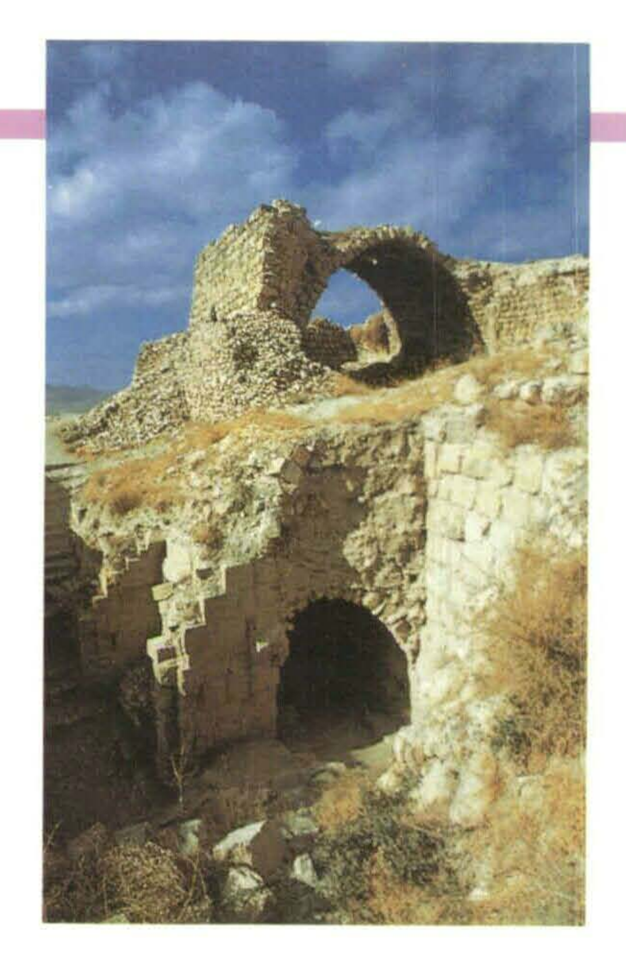
يصاحب هذه اللوحة منذ البداية صوت حزين هو صوت بوق بائع الجيلاتي العجوز ، فحين يسمع الأطفال صوت البوق يتوقف اللعب ويلتفون حول الرجل يشترون منه الجيلاتي ويدخلون بيوتهم ، فقد انتهى النهار واللعب ، لأن الرجل كان يدور في الحي وقت الغروب ..

ويحيى حقي الفنان المتمكن الذي يختار كل كلمة بدقة بالغة ، يختم هذه اللوحة بصوت البوق المتوهم .. ففي زيارته الأخيرة لست الستات رآها عجوزاً ضعيفة ، استقبلته وهي تتوكأ على ذراع زوجها ــ الذي كان ويا للعجب ما يزال قوياً متورد الوجه ــ تقبلت هديته بيد مرتعشة ، جلس بعض الوقت ثم ودعها .. وتنتهي اللوحة بهذا اللحن الحزين :

« .. ولما خرجت للشارع أدركت ــ ربما لأول مرة ــ أن حي الحلمية الجديدة قد تبدل وجوهاً بوجوه وأقواماً بأقوام .. مشيت وأنا أصيخ السمع أنتظر أن يأتيني ولو من بعيد صوت بوق صغير ؛ إذ كانت الشمس قد آذنت بمغيب » □

هذا هو يحي حقي .. حاولنا أن نقدم لمحة قصيرة عن شخصيته وإبداعاته الفنية التي اكتملت بصدور كتابه الأخير « كناسة الدكان » وقد آثر الرجل أن يكف عن الكتابة بعد أن أحس أنه قال كل ما عنده ، وهذا موقف آخر يضاف الى مواقفه السابقة ؛ فقليلون هم الذين يعرفون متى يتكلمون ومتى يصمتون .

ونتوقع ــ وإن كان ذلك لم يحدث إلى الآن بكل أسف ــ أن تسلط أضواء كافية على الخصائص الفنية لأدب يحيى حقي وعلى طريقته المتفردة في الكتابة ؛ حتى يعرف أبناء هذا الجيل أن لغتنا العربية التي ينصرفون عنها الآن تملك من أسباب القوة والجمال والعذوبة الآسرة ما يجعلها قريبة منهم معبرة عنهم ، ولكن لا بد أن يُتاح لها عاشق مخلص متواضع مثل يحيى حقي ليكشف لهم اسرارها الخفية ويستخرج لآلئها الثمينة □





الثوريوم ٢٣٤ ناقصاً بمقدار ايون هيليوم ٤٢ ، بينما يزداد الوزن الذري للكربون ١٤ اذا فقد جسيم بيتا ، وذلك بتحول نيوترون في نواته الى بروتون مضطراً احد الالكترونات (جسيم بيتا) للانبعاث خارجاً .

وهذه العناصر التي نتحدث عنها موجودة في الصخور والآثار ، والتحولات التي ذكرنا هي التي تسهل دراسة عمر هذه الصخور والآثار ، وهذا يتم من خلال تحديد كمية العنصر المشع الموجودة ، وكمية العنصر الذي تحول اليه ، ومن خلال معرفة عمر النصف للعنصر المشع يمكن حساب عمر هذه الكمية الموجودة بحساب المدة اللازمة لتحول هذه الكمية من العنصر المشع الى ما يناظرها من العنصر الآخر ، ومن أمثلة ذلك تحلل الراديوم الى الرصاص في الصخور ، حيث يمكن من خلال معرفة الأوزان النسبية لكل من العنصرين : الراديوم والرصاص الموجودة الآن في الصخر ، حساب كم من الوقت انقضى ، لتكون هذه الكمية من الرصاص : أي عمر الصخر نفسه .



والعناصر

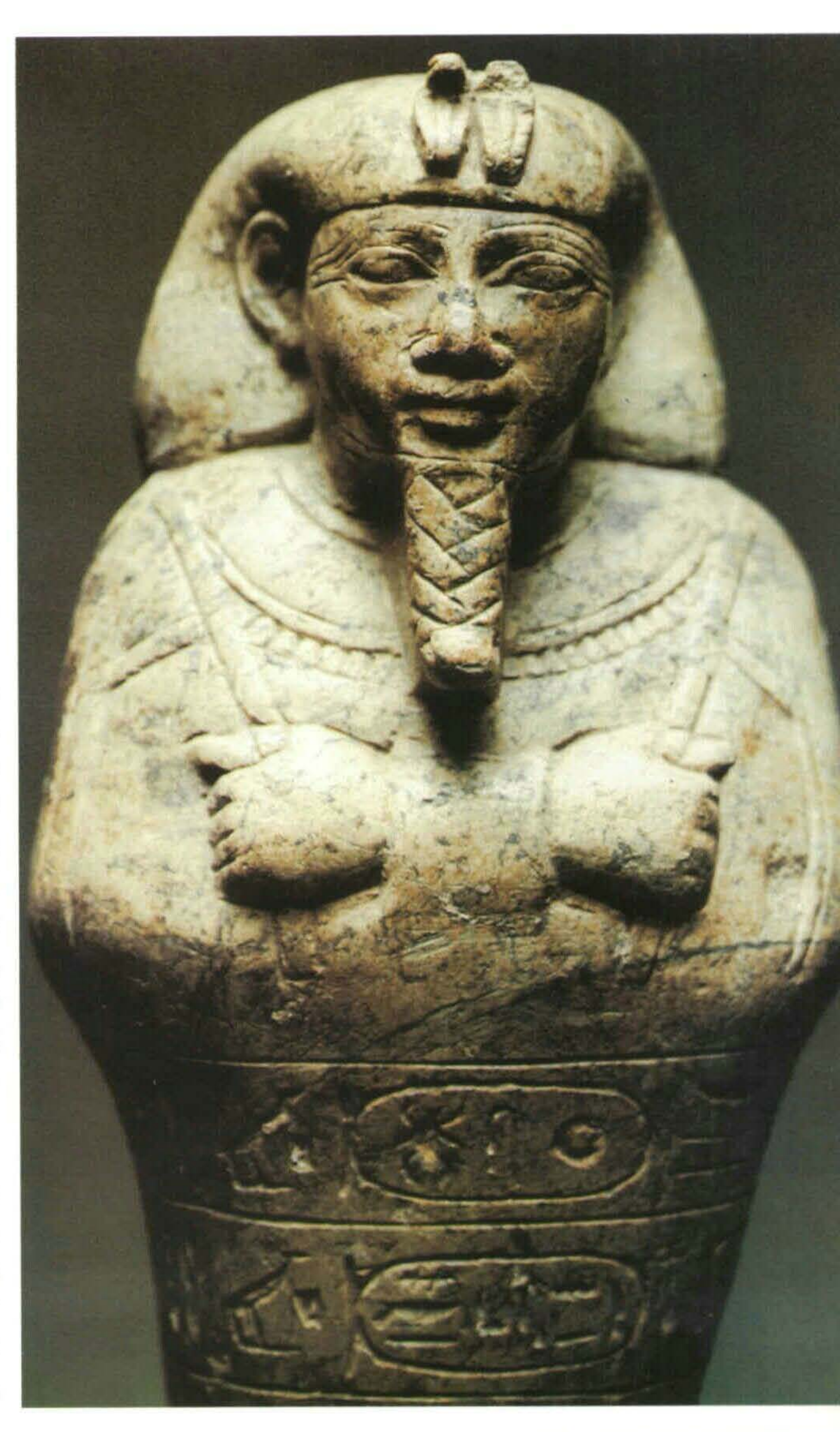
المشعة موجودة بشكل طبيعي في المواد المدروسة ، ووجودها يشمل اضافة الى الراديوم عناصر اليورانيوم والسترنتيوم والبوتاسيوم والكربون ١٤ وغيرها . ولكن استخدام هذه الطريقة يبقى مرتبطاً بطبيعة المادة المدروسة ونسبة المعادن المشعة فيها . وتختلف دقة النتائج حسب نوع العنصر المشع ، فبينما يعطي البوتاسيوم معلومات دقيقة عن الصخور والمستحاثات تصل الى بضعة ملايين من السنين ، تقدم عناصر أخرى معلومات تصل فقط الى آلاف السنين .

ويعد الكربون ١٤ الأكثر استخداماً نظراً لدقة نتائجه العالية واتساع مدى وجوده الذي يشمل الصخور والآثار والبشر والحيوان والنبات . ويوجد الكربون ١٤ في جو الأرض نتيجة بعض التحللات النووية التي يسببها مرور الأشعة الكونية عبر

الغلاف الجوي . ويتخلف من هذه التحللات بعض النيوترونات التي تصطدم مع ذرات النتروجين مكونة الكربون الذي يتفاعل مع الأوكسجين مكوناً ثاني أكسيد الكربون ١٤ الذي له الصفات الكيميائية لثاني أكسيد الكربون العادي . ولذا يستمر في الدورة التنفسية العادية نفسها . فيدخل الى النبات من خلال عملية التمثيل الضوئي ، ومن النبات ينتقل الى الانسان والحيوان بالغذاء أو الى الصخور بالموت وتشكل المستحاثات . وتقدر نسبة الكربون ١٤ في النبات والكائنات الحية بحوالي (١,٢×١٠$^{-١٠}$٪) من مجمل المركبات الكربونية فيها في أثناء الحياة .

ويتحلل الكربون ١٤ عند اصطدامه بالنيوترونات الحرارية ، ويتم ذلك بزمن كافٍ لتكوين اتزان بينهما في المحيط الحيوي للأرض . ويستمر هذا الاتزان في الأجسام الحية طيلة الحياة . الى أن يأتي الموت فيتوقف هذا التبادل الديناميكي مع المحيط الحيوي ويبدأ تركيز الكربون ١٤ بالتناقص تدريجياً وبشكل أسي ، ومن هنا بدأت فكرة التوقيت بالكربون المشع التي نال عليها لبي Libby جائزة نوبل في الكيمياء عام ١٩٦٠م .

ويصل الحد العملي لهذه الطريقة الى ٥٠ ألف سنة ، نظراً لأن نشاط الكربون ١٤ ما زال ثابتاً تقريباً اذ انخفض حتى الآن الى ٠,٢٪ فقط من قيمته الأصلية . وتقوم الفكرة على قياس كمية الكربون ١٤ الموجودة في المادة تحت الدراسة واحتسابها نسبة الى النسبة الأصلية الموجودة في الأشجار والكائنات



الحية ، وعمر النصف للكربون ١٤ الذي يبلغ ٥٧٣٠ سنة ، ويتم قياس هذه الكمية باستخدام أجهزة قياس الاشعاع المعروفة مثل عداد جاجر وسواه .

وقد أمكن باستخدام الاشعة السينية مع طريقة الكربون ١٤ ، تحديد معلومات تشخيصية لعدد من الهياكل العظمية والموميات تراوحت بين تقدير عمر الوفاة وأسبابها والتعرف على هوية بعض هذه الموميات .

وثمة طريقة حديثة لتقدير أعمار جثث الكائنات الحية تعتمد على ما يعرف بنسبة (D/L) أي نسبة التيامن والتياسر في المركبات الكيميائية التي يقصد بها النسبة بين المركب الكيميائي الذي يعكس الضوء الى اليمين ونظيره الذي يعكس الضوء الى اليسار (نتيجة لاختلاف وضع احدى ذرات السلسلة الأساسية للمركب نفسه) . وتوجد معظم المركبات الكيميائية المهمة في جسم الكائن الحي في اتزان بين هذين النظيرين يدعى التزرام ولكن هذا الاتزان يميل لصالح النظير المتياسر لأن عملية الأيض الحيوية للجسم تفضل عادة هذا النظير ، ويستمر الميل بشكل دائم لتحقيق حاجة الأيض مع الحفاظ على اتزان آيضي وترازمي مناسب . وعندما يتوقف الأيض بالموت يستمر تبادل التيامن والتياسر في المركبات المعنية خاصة في الأحماض الأمينية للوصول الى قيمة تمثل اتزاناً غير آيضي وهو ما قد يحتاج عشرات الآلاف من السنين . وتعتمد طريقة القياس على نسبة التيامن والتياسر (نسبة D/L) لحامض الاسبارتيك (حامض أميني) في عظام وبقايا المستحاثات وتحدد عمرها الجيولوجي مقارنة بالنسبة الموجودة في الكائنات الحية . وقد أعطت هذه الطريقة نتائج أفضل مقارنة بالطرق الأخرى مثل طريقة الكربون ١٤ سالفة الذكر .

ومن الطرق الأخرى المستخدمة في مجال الدراسات الأثرية والتاريخية طريقة تقوم على مبدأ الاشعاع ولكنها تختلف في الأسلوب وهي طريقة الانشاط النيوتروني المستخدمة لدراسة القطع النقدية والسبائك المعدنية وتركيبها الكيميائي اذ يتم شحن عينة من القطعة المدروسة وقياس كمية الاشعاع وأنواعه باستخدام جهاز فحص الاشعاع ، اذ تقذف العينة أنماطاً اشعاعية تختلف باختلاف النظائر المشعة الكامنة فيها متفقة مع حجم العناصر المعدنية التي تميز الاشعاع الصادر عن العينة ، فاذا شحنت قطعة فضية قديمة بالنيوترون فانها ستصدر أشعة جاما وأشعة بيتا ويمكن بالتالي ، بفحص حدة وكثافة طاقة هذين النوعين من الأشعة ، دراسة تركيب هذه القطعة وعمرها قياساً لقطعة معروفة العمر والتركيب .

أما في حالة السبائك (أكثر من معدن) فان كثافة الأشعة الصادرة عن أي معدن خاصة به ، ولذا يمكن من دراسة الكثافات المختلفة لطيف الأشعة الصادر عن القطعة تحديد النسبة المئوية لكل معدن في القطعة النقدية على حدة . وتستخدم هذه الطريقة على نطاق واسع ليس في مجال الدراسات الأثرية فحسب ، بل في المجال الأمني أيضاً لكشف التزييف في القطع النقدية .

وهكذا استخدم العلماء طرائق كيميائية مختلفة يسرها الله ـ جل وعلا ـ لهم للتعرف على كثير من خفايا التاريخ بين عمرٍ ونوعٍ وتفاصيل . سهّل الباري لهم الاطلاع عليها مستخدمين ظواهر كيميائية موجودة في الطبيعة ، وهو أمر يدل على قدرة الخلاق العظيم ، سبحانه وتعالى ، الذي جعل في الأشياء ما يساعد على تسجيل أدق معلوماتها وحفظها ، والذي يسّر بفضله تعالى سبل الاطلاع عليها بما منّ من نعمة في التعرف الى طرق استخدام هذه الظواهر والاستفادة منها ـ كما عرضنا ـ لدراسة واستكشاف أعماق تاريخنا البشري □





بقلم: د. زيان أحمد الحاج - البحرين

مغلف وغلاف :

من منا لم يسمع مثل هذا السؤال : ألديك مغلف ؟ وقد سمعته كثيراً وكنت أقول : وما اسم الرسالة اذاً لأبعث هذه الرسالة ؟ ان المغلف هو الرسالة نفسها ، وما توضع فيه هو الغلاف . نقول : غلفت الكتاب : جعلت له غلافاً . وكذلك غلفت الرسالة أو الهدية : جعلت لها غلافا أضعها فيه ، فهي مغلفة ، وهي اسم مفعول . وهذا يذكرنا بالظرف والمظروف ، فالظرف هو الغلاف ، والمظروف هو المغلف .

الحمام الزاجل :

لم نعرف هذا النوع من الحمام في أيامنا الا في بطون الكتب ، اذ لا واقع له نراه أو نحسه الآن ، ولكن اسمه يتردد كتاريخ . والزاجل : اسم فاعل من زجل الحمام : أرسله على بعد . فالزاجل هو الشخص الذي يقوم بهذه المهمة . ولهذا ينسب الحمام اليه . فالصواب أن يقال : حمام الزاجل أو حمام الزجال ، باضافة الحمام الى الزاجل ، أو الزجال ، على صيغة المبالغة ، اذ لو قيل : الحمام الزاجل ، فان الزاجل تكون صنعة للحمام ، وليس الأمر كذلك .

زيد على وشك الحضور ، والجدار على وشك السقوط :

يكثر استعمال هذا اللفظ بفتح الشين ، والصواب تسكين الشين ، فيقال : وشْك ، وهو السرعة . فأمر وشيك : سريع ، ووشْك البين : سرعة الفراق .

وفيه معنى المقاربة ، لأن أوشك من أفعال المقاربة التي تدل على سرعة وقرب وقوع الخبر . قال الشاعر : « ولو سئل الناس التراب ، لأوشكوا ، اذا قيل : هاتوا ، أن يملوا ويمنعوا » ويجوز في واوه الفتح والضم ، مع سكون الشين في كليهما .

توفى فلان ، وفلان المتوفي سنة كذا :

يخطّيء أهل اللغة من يقول : توفى فلان ، وفلان المتوفي ، ويرون أن الصواب هو : توفى الله فلاناً ، أو توفي فلان (بالبناء للمجهول) ، لأن الله سبحانه وتعالى هو « المتوفي » ، وهو اسم فاعل من الفعل « توفى » ، وفلان هو « المتوفى » اسم مفعول .

ومعنى توفي فلان : مات ، وتوفاه الله اذا قبض نفسه أو روحه . روى أن علياً ـ كرم الله وجهه ـ سأله عامي ، وهو يسير وراء جنازة : من المتوفي ؟

ـ الله .

ـ كيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟

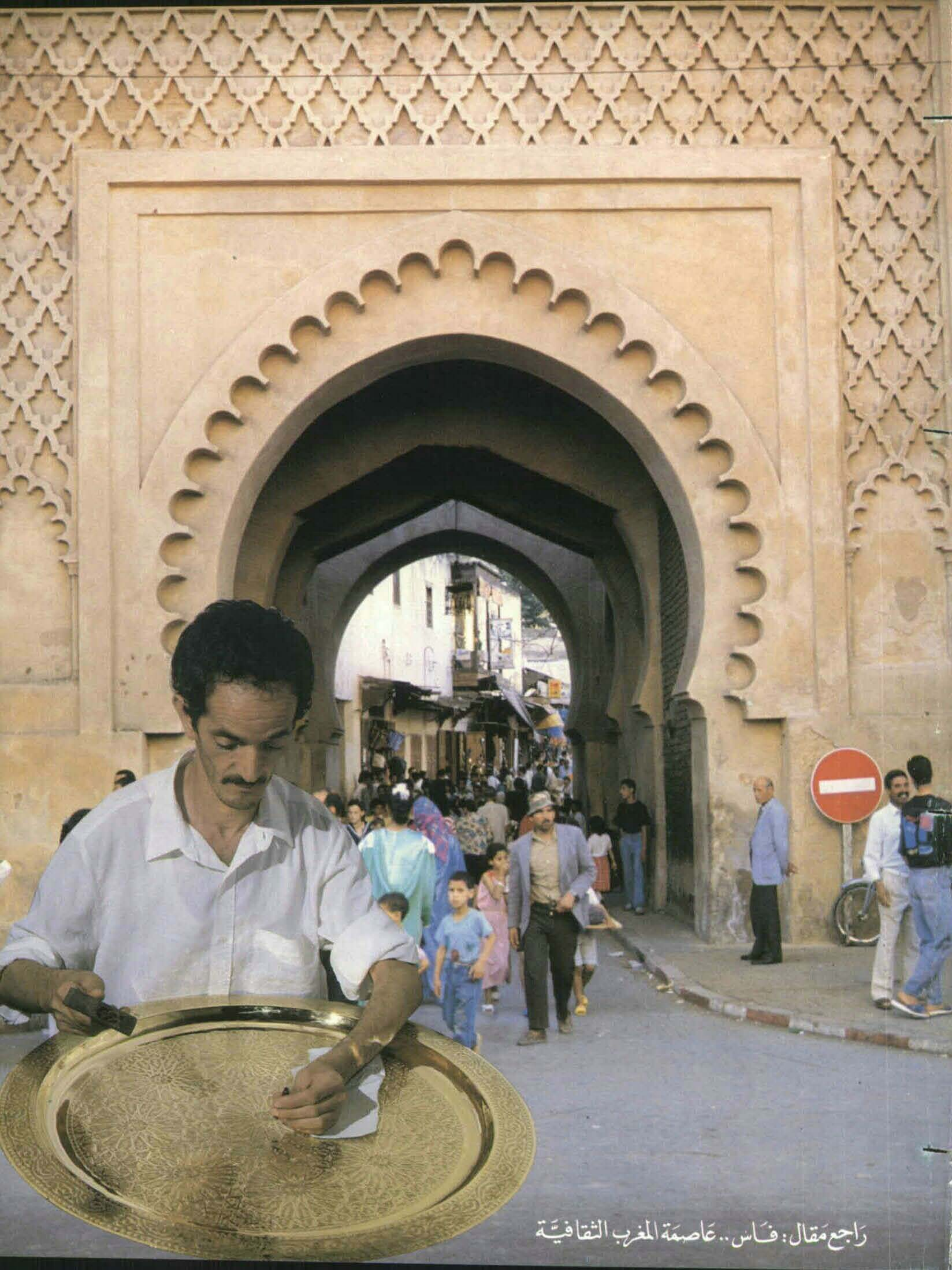
ـ أما سمعت قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها** ﴾ (الزمر / ٤٢) قل : من المتوفى ؟

وفاعل الوفاة هو الله جل جلاله : ﴿ **إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي** ﴾ (آل عمران / ٥٥) .

وورد الفعل مبنياً للمعلوم في قوله تعالى أيضاً : ﴿ **قل يتوفاكم ملك الموت الذي وُكل بكم** ﴾ (السجدة / ١١) . وورد بالبناء للمجهول في قوله عز وجل : ﴿ **والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً** ﴾ (البقرة / ٢٣٤) . والمصدر هو « التوفي » ، وهو استيفاء مدة الميت التي وفيت له ، وعدد أيامه وشهوره وأعوامه في الدنيا .

الثاني والآخر :

الصواب في استعمال لفظ « الثاني » أن يكون فيما له ثالث ورابع و ... الخ . أما لفظ « الآخر » ، بكسر الخاء ، فيستعمل فيما لا يليه شيء . ولهذا فإنهم يُخطّئون من يقول : ولد فلان في ربيع الثاني ، أو جمادى الثانية . والصواب أن يقال : ولد في شهر ربيع الآخر ، لأنه لا يوجد ربيع ثالث . وقد التزمت العرب لفظ « شهر » قبل « ربيع » تمييزاً له عن ربيع الفصل ، فتقول : هذا شهر ربيع الآخر ، ولا تقول : هذا شهر ربيع الثاني . وكذلك الحال في شهري جمادى . فيقال : جمادى الأولى ، وجمادى الآخرة ، لأنه ليست هناك جمادى ثالثة . وجمادى الأولى هي الشهر الخامس من شهور السنة الهجرية ، وجمادى الآخرة هي الشهر السادس منها . وجمع جمادى : جماديات ، أو جماد .



راجع مقال: فاس.. عاصمة المغرب الثقافية



راجع مقال: حماية البيئة من أجل التنوع البيولوجي